

مَجَلـة شَهـريَّـة اسْلاميَّـة أَدبيَّـة

تصدر عن دار التأليف والترجمة، بنارس

المجلد (٤٤)	رجب المرجب ١٤٣٣ هـ
العدد السادس	يونيو ٢٠١٢ م

المشـرف العام

عبـد اللّٰه سعـود بن عبـد الوحيد

رئيس التحريـر

أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

☆ عنوان المراسلة:	**صـوت الأمـــة** بی ١ / ١٨ جی، ریوری تالاب، بنارس، الهند THE EDITOR B-18/1-G, Reori Talab, Varanasi - 221010 (India)
☆ الاشتراک باسم:	دار التاليف والترجمة، ریوری تالاب، بنارس، الهند DAR-UT-TALEEF WAT-TARJAMA B-18/1-G, Reori Talab, Varanasi - 221010 (India)
☆ الاشتراک السنوي:	في الـهـند (١٥٠) روبيـــة، في الخارج (٤٠) دولار بالبريد الجوي، ثمن النسخـة (١٥) روبيـة

☆ تليفون: ٢٤٥٢٢٤١ / ٢٤٥١٤٩٢ ــ ٥٤٢ ــ ٠٠٩١   فاكس: ٢٤٥٢٢٤٣ ــ ٥٤٢ ــ ٠٠٩١

محتويات العدد

الافتتاحية

وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئًا

أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

تواجه الأمة الإسلامية – بين حين وآخر – اعتداءات سافرة على دينها وقرآنها ونبيها ومعابدها وشخصياتها، وهي في حالة ذعر وقلق واضطراب دائم، حيث إن شمس كل يوم تطلع عليها بأنباء وحوادث مخزية محزنة، فهناك حرق للمصاحف، وتدنيس أو تمزيق لها أو رميها في القذارة، أو استهداف تعاليمها بالاستهزاء أو التشكيك أو بأنها مصدر الإرهاب والتطرف.. والنيل من شخصية النبي المكرم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، بأساليب وطرق مختلفة معروفة وغير معروفة.. واعتداءات على المساجد والمعاهد والمراكز الدينية.. وإجراءات استفزازية مثل الحظر على حجاب المرأة وعلى رفع الأذان من المنارة.. والتضييق على الشباب ذوي التوجه الديني بشتى الوسائل والأساليب.. وقتل وتشريد للشعوب البائسة بحجج واهية..

هذه الأوضاع المقلقة تضع أمام الفرد المسلم والجماعة المسلمة علامات استفهام، فهو يقف حائرا أمام هذه الأوضاع، ولا يجد ما يعللها به من تفسير يطمئن إليه، وخاصة فئة الشباب، الذين يمتلئون حماسة وغيرة على دينهم وعقيدتهم وثقافتهم، فهم سرعان ما يصابون بالإحباط أمام هذا المسلسل المحرج، وقد تصل بهم الأمور إلى اليأس والقنوط، وانقطاع الرجاء من المستقبل الآمن، وحالة نفسية متوترة تمنع صاحبها أن يعيش في مجتمعه كعضو نشيط فعال، فهو يعيش في هم وغم دائمين، والشعور بقلق واضطراب بالغين، فاقد الحيوية والنشاط، مسلوب الانتاج والابتكار، كأنه كل على مجتمعه، عائل على أسرته.

نقدر لهؤلاء الغيورين عواطفهم ومحبتهم لدينهم وعقيدتهم وكتابهم ونبيهم، وحتى لا يقعوا فريسة للمؤامرات الدنسة أو يصابوا باليأس والقنوط نرجو منهم أن يهونوا على أنفسهم، وينظروا في الأمور التالية:

الابتلاء سنة من سنن الله، عبر الأزمان والأجيال، ولم يسلم منه حتى المصطفين الأخيار. {ألم، أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين - العنكبوت: ١-٣}.

{ومن الناس من يقول آمنا بالله، فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله - العنكبوت: ١٠}

{أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم، مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله، ألا إن نصر الله قريب - البقرة: ٢١٤}.

وأشار الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في أحاديثه إلى أن أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل. (انظر: صحيح الجامع الصغير: ٩٩٢-٩٩٦)

والابتلاء أنواع وأساليب، فمنه ما هو معنوي ومنه ما هو مادي، وقد يكون بالقول وقد يكون بالفعل، وقد يبتلى المؤمن في ماله، وقد يبتلى في نفسه، ولكن المطلوب في كل هذا وذاك من أنواع الابتلاء والمحن: الصبر والثبات على سبيل التقوى وعدم الانزجار. والقرآن أكد على هذا في عديد من آياته الكريمات:

{ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات، وبشر الصابرين، الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون - البقرة: ١٥٥-١٥٦}

ولنتدبر في الآية الكريمة التالية ولنقف عند هدايتها وقفات، فكأنها نزلت بخاصة في أوضاعنا الحالية التي نمر بها:

{لتبلون في أموالكم وأنفسكم، ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا ...}.

فماذا يجب علينا - نحن المسلمين - في تلك الحالة؟ هذا ما أرشدنا إليه الرب سبحانه في كلماته التالية:

{وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور - آل عمران: ١٨٦}

ويتكرر التوجيه القرآني نفسه في موضع آخر:

{إن تمسسكم حسنة تسؤهم، وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها ....}.

فما الواجب علينا حينئذ؟

{وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا، إن الله بما يعملون محيط — آل عمران: ١٢٠}.

ولا ننسى أن هذه الآيات من سور مدنية، ونجد هذا النوع من التنبيه في سورة مكية أيضا:

{فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين، إنا كفيناك المستهزئين، الذين يجعلون مع الله إلها آخر، فسوف يعلمون. ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون. فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين. واعبد ربك حتى يأتيك اليقين — الحجر: ٩٤—٩٩}

وفي خاتمة سورة مكية أخرى تقع بعد السورة السابقة يأتي التوجيه نفسه:

{واصبر وما صبرك إلا بالله، ولا تحزن عليهم، ولا تك في ضيق مما يمكرون. إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون — النحل: ١٢٨}

وفي خاتمة سورة الروم يأتي الأمر الرباني بهذه الكلمات ذات معنى خاص:

{فاصبر إن وعد الله حق، ولا يستخفنك الذين لا يوقنون — الروم: ٦٠}

فسبيل الصبر.. وسبيل التقوى.. وأسلوب الإعراض عن المشاغبين والمستهزئين.. والاستمرار في إبلاغ رسالة الله والدعوة إلى الحق، ومواصلة العمل في عرض الهداية والخير على البشرية التائهة.. مع تسبيح الخالق والانقطاع إلى عبادته.. هو ما يجب علينا بأمر من ربنا، وهو الذي فيه ضماننا لاستحقاقنا عناية ربنا وإبطال كيد الحاقدين ومكر الماكرين.

ولا يغيبن عن بالنا أيضا أن ما نواجهه من مكر الأعداء وكيد الحاقدين هو جزء من سلسلة الصراع الطويل الدائم الذي أشار إليه عالم الغيب جل وعلا بقوله:

{ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم — البقرة: ١٢٠}

وبقوله: {ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا — البقرة: ٢١٧}

وبقوله: {يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم، والله متم نوره ولو كره الكافرون- الصف: ٨}

والمواقف الاستفزازية التي نواجهها من حين لآخر، والتي تكدر صفو حياتنا، وقد تثير حفيظة نفوسنا وغيظ قلوبنا، يجب أن لا نحسبها شرا كلها، بل نبحث فيها عن الخير الكامن أيضا، من منطلق قوله سبحانه: {لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم — النور: ١١}

ومن الأمثلة الكثيرة على ذلك ما علمنا وسمعنا بعد حادث ١١/سبتمبر، وبعد بث فيلم الـ "فتنة" في هولندا، وبعد إعلان أحد القساوسة عن إحراق المصحف الشريف.. إلى غير ذلك من الأعمال الاستفزازية، أن ازداد إقبال غير المسلمين على القرآن الكريم وأصبحوا يطالعون هذا الكتاب الخالد ليتعرفوا على مدى حقيقة الادعاءات والأكاذيب التي تلصق به بين حين وآخر، وقد أفادت الأنباء بهذا الخصوص أن المصحف الشريف ظل أكثر الكتب إقبالا واشتراء في مكتبات بعض المدن الأوربية والأمريكية لعدة أسبوع بعد كل حادث من الحوادث المذكورة وأمثالها، بل وصل الأمر في بعض المدن إلى أن نفدت كل الكميات من المصحف من المكتبات، خاصة المصاحف الالكترونية. ولم يتمالك عدد غير قليل من هؤلاء المقبلين على دراسة القرآن الكريم أن نطق بـ: "لا إله إلا الله، محمد رسول الله" ودخل في حظيرة الإسلام مؤيدا له مدافعا عنه، وهو الذي كان قبل قليل يعاديه ويبغضه ويكن له الشر، وينظر إلى أهله نظرة ازدراء واحتقار، ويصفهم بصفات قبيحة. ولكن هذه الحوادث التي أريد بها الإساءة إلى القرآن والإسلام وأهله جعلها الله سببا لانتشار نور الإسلام، وانقلبت مكائد أعدائه عليهم. وصدق الله العظيم القائل في كتابه الكريم:

{إنهم يكيدون كيدا، وأكيد كيدا — الطارق: ١٥-١٦}

{ويمكرون ويمكر الله، والله خير الماكرين — الأنفال: ٣٠}

{ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون، فانظر كيف كان عاقبة مكرهم... — النمل: ٥٠-٥١}

{إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله، فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون.... — الأنفال: ٣٦}

ولا يعني هذا أننا نجلس أمام هذه التحركات المشينة مكتوفي الأيدي، وننتظر وقوع المعجزات والخوارق. بل نستغل هذه الفرص ونحولها لصالح القرآن والإسلام بحكمة

وروية، ونبذل ما في وسعنا لإيصال هذا الدين الحق وعرض تعاليمه النيرة على تلك القلوب التي انفتحت إثر هذه الحوادث وتشوقت للاطلاع على حقيقة هذا الدين وهذا القرآن. ولا نتركها تتخبط في سبيل ذلك، وتذهب لتروي غليلها من المصادر المغشوشة والمراجع المدسوسة، فتزداد كفرا على كفر، وكراهة لهذا الدين وهذا القرآن.

وهنا نذكر المبادرة الحكيمة لبعض المنظمات الإسلامية في الغرب في مثل هذه المواقف، فمن ذلك ما قامت به إحدى هذه المنظمات من الإعلان بأنها سوف تقوم بتوزيع مائة ألف نسخة من المصحف الشريف مجانا، وذلك حينما أعلن أحد القساوسة المتطرفين بأنه سوف يقوم بإحراق نسخ من المصحف الشريف في الذكرى العاشر لحادث الحادي عشر من سبتمبر.

وعلى العكس من ذلك نجد عددا من المنظمات والشخصيات الإسلامية تقوم —في مثل هذه الأوقات— بتنظيم المسيرات والمظاهرات وإطلاق النعرات وبيانات الشجب والتنديد والإنكار وإلقاء خطب رنانة عبر المنابر والمنصات. والمظاهرات هذه قد تفلت عن سيطرة المنظمين وتفضي إلى ما لا يحمد عقباه، من الاصطدام مع رجال الأمن —وفي غالب الأحوال يكونون من المسلمين أيضا— وسقوط ضحايا من صفوف المظاهرين، وإتلاف الممتلكات الفردية والحكومية. ثم يبث كل هذا عبر وسائل الإعلام، ويستنتج منه المستنتجون أن المسلمين أهل الفوضى والشجب ومتشددون... وكذا وكذا.

ولا يستبعد دخول عملاء الأعداء في هذه المظاهرات لإثارة الفتنة فيها وإخراجها عن السلمية إلى الاصطدامية وإلحاق الضرر بالمظاهرين وتصويرهم بصورة المشاغبين والمتشددين، وقد حدث كل ذلك وللأسف، مع تكرار. فهل من مدكر.

***

عبر ومواعظ:

النوم وفوائده

(٢)

معالي الشيخ الدكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة البحوث الإسلامية بالرياض

فسبحان من قدّر ذلك التنظيم في النوم، واستقامت به أحوال النا، ووقته، لما وراء ذلك من فوائد ومصالح، وهيأ سبحانه هذا النوم، الذي يهجم علينا بالقوة، عندما يحتاج إليه الجسم، ليكون متنفسا للجسم سواء كان آدميا أو حيوانا أو طيرا أو غير ذلك، حتى النباتات تحتاج النوم، ولتنشط العقول، وتتجدد به القوى في الأجسام، سواء كانت النتائج ظاهرة أو باطنة، أو في الرأس وما حوى، من متطلبات الإنسان المهمة التي تتأثر بقلة النوم، ومن ثم تنشط إذا أخذ الجسم كفايته من النوم، حيث يتأثر الأعضاء كلها، وتنشط الأنسجة الباطنية في الجسم، وهذا حسب حاجة جسم الإنسان، فالناس يختلفون كما يختلفون في العادات والطبائع والقدرات.

بحسب الكمية التي نالها هذا الجسم، لتغطية حاجته من النوم، والذي يرتاح فيه كل عضو وخاصة الرأس وما حوى، والأعصاب والعضلات، فإن الأشخاص يختلفون في القسط المطلوب لأجسامهم، لكن المعدل للبالغ من بني آدم، ما بين ٧ ساعات إلى ٨ ساعات، عدا الأطفال فنومهم أطول.

والأمثال العربية جاءت متتابعة، في الدلالة على أهمية النوم، ومنها نوم القيلولة، كما جاء في الأثر: (أَقِل فإن الشيطان لا تُقِيل)، إذ كان علماء الإسلام يراعون، ذلك الوقت، الاهتمام بنوم النهار وهو ما يطلق عليه خاصة: نوم القيلولة: وهو نوم الظهر.

فقضاة المسلمين في الأندلس أيام ازدهارها وعلماء الإسلام فيها، وفي بغداد والشام، وفي مكة والمدينة، كانوا يعطلون العمل للنوم والاستجمام: في أربعانية الشتاء، وفي أربعانية الصيف، وما ذلك إلا لشدة الحر، وشدة البرد، فيهما، فلا يزاولون فيهما عملا لمدة ٤٠ يوما لكل منهما، وقد بان هذا في سير حياتهم، نموذج ذلك: عبد الله بن العباس رضي الله عنه، في

طلبه العلم، فقد كان يتوسد عتبة دار من يجد عنده علما، أو حديثا يسأله حتى إذا استيقظ رآه عند الباب ولم يرغب إيقاظه فيعتذر ذلك الصحابي، ويقول يا ابن عم رسول الله! هلا دَقَقت الباب؟ فيعتذر ابن عباس بعدم إفساد نومته عليه، وهذا من أدب طلب العلم مع شيوخهم.

وهذا التقسيم عندهم والتوقيت للنوم لم يأت إلا عن تجارب واستدلالات .. وكان هذا عند علمائنا في هذه البلاد، فالشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله أخبرني عن نومته في القيلولة عندما كان قاضيا من عام ١٣٥٧هـ، ثم في الرياض عندما كان مدرسا في كلية الشريعة في الرياض، وهي بعد صلاة الظهر.

لكنه في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ودوامها للموظفين إلى الظهر الساعة ٢,٣٠ ظهرا، صار يعوض بالنوم بعد صلاة العصر، وقد أخذت هذه العادة عنه، كما هي عادة كثير من الموظفين، ليرتاحوا بعد العمل، وقد قال له شخص في يوم من الأيام، عن ما قيل له — رحمه الله — عن سوء النوم في العصر مستشهدا بعجز بيت من الشعر وهو (ونوم سويعات العشي خَبالُ) فردّ عليه رحمه الله بالقول: هذه عادة اعتدتها منذ عملت في الجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة، حتى الآن، وما شفت من ربي شرا. وقد تأثرت به في ملازمة النوم عصرا وغيري، فسبحان من أودع في أجسامنا أسرارا نرتاح إليها وبالتجربة، ولا ندرك كنهها، إذ هيأ الله ما يكون متنفسا للجسم، ومريحا لخفايا خلاياه، وأنسجته الداخلية، ومجددا للنشاط والذهن من أجل مصالح الدين والدنيا للفرد والجماعة، والتقوية على طاعة الله، لمن أعانه الله على قيام الليل، ومقويا على طاعة الله سبحانه، والنشاط للفجر، امتثالا للأمر، وخوفا من عتاب، وأداء للأمانة.

ولذلك أُمِرَ المتعبد في صلاة الليل، وغيرها بالنوم إذا كَثُرَ تَعَبُه حتى لا يختلط عليه الأمر في أدعيته وقراءته وصلاته فيضر نفسه، من حيث لا يدري مع غلبة النوم وهجومه عليه حيث لا يمكن مدافعته، أو التغلب على سلطانه، لأن القلب ثم اللسان لا يمكن السيطرة عليهما مع النوم.

وحكاية رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه رضوان الله عليهم في أحد أسفاره لما غلبهم النوم على صلاة الفجر، ولم يستيقظ أولهم وهو المؤذن بلال إلا بطلوع الشمس، فأيقظ

رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر بالرحيل، وقال: حضرنا في هذا المكان شيطان ثم بعدما ابتعدوا قليلا، نزلوا وصلوا: وهذه معروفة في كتب الحديث.

كما أنه ليس خافيا، على كل مسلم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، في أمره لكل مسلم إذا أراد أن ينام، أن من السنة أن يكون على طهارة، وترغيبه صلى الله عليه وسلم لمن كان على جنابة، ألا ينام إلا بعد الغسل... وعلل ذلك بعض العلماء: بأن النوم الموتة الصغرى، وقد يفاجئه الأجل، وهو في نومته هذه، فلعلّ ذلك مما يحسن خاتمته.

كما حث رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل النوم على الأدعية والأوراد، مع ذكر الله وقراءة السور: المعوذات الثلاث وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، ذلك من آداب النوم وأن ينفض فراشه مع الذكر وقراءة الفاتحة احتياطا حتى يطمئن على خلوه من بعض الحشرات والزواحف الضارة، ويقرن ذلك بقراءة آية الكرسي، كما أخبر عن علة أخرى، صلى الله عليه وسلم، في أدعية الورد وفائدة آداب النوم، فقال عليه الصلاة والسلام: (إن الشيطان يعقد على قفا النائم، ثلاث عُقد، فإن قام وذكر الله انحلت عقدة، وإذا توضأ انحلت العقدة الثانية، وإذا صلى انحلت العقدة الثالثة، فيصبح منشرح الصدر مرتاحا، وإلا صار خبيث النفس، منقبض الصدر، أو كما قال. وفي الحالة السابقة أخبرني موثوق: قرأ آية الكرسي ولما قمت للصلاة إذا ثعبان نائم تحت فراشي، وجاء في الأثر أن القرين من الشياطين، الملازم للإنسان وفق الآية الكريمة حيث يتبرأ من الإنسان: {قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد} (ق آية ٢٧)، وهو من الشياطين.

هذا القرين يلازمه في نومه، فإن استيقظ وأراد الصلاة أوحى إليه بأن الليل طويل والنوم لذيذ والصبح بعيد، حتى يكسله عن القيام والصلاة في وقتها ومع الجماعة.

والنوم كعجيبة من العجائب تحدّث فيه فلاسفة الأمم، والأطباء قديما وحديثا، وخاصة فيما يتعلق به مع الإنسان كيف يأتي وكيف يذهب، يذكر بالموت، ويربط المخلوق بقدرة الخالق، فكان يطلق عليه الموتة الصغرى، استدلالا بالآية الكريمة التي قالها الله سبحانه: {الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى} (الزمر آية ٤٢)، فسمى الله سبحانه النوم موتا، وهي الموتة الصغرى.

فكم من إنسان في أي موقع من الأرض، نام وكانت نومته هذه أبدية؟ ولذا كان المؤمن على يقين من ربه، ويأخذ الأهبة للنومة الكبرى، بالأدعية التي حث عليها دينه، لأنه متهيئ ومستعد للقاء قدره المحتوم، لأن الآجال محجوبة عنه، ومن حُسن ثقته بربه، فهو مستعد وهو يتهيأ للنوم، بمثل هذا الدعاء المأثور: (باسمك ربي وضعت جنبي، وباسمك أرفعه فإن أمسكت نفسي فاغفر لها وارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما حفظت به عبادك الصالحين).

وقد جاء ذكر النوم في كتاب الله الكريم: تسع مرات، وبمثلها جاء السبات والنعاس.. ذلك أن السبات أو النعاس، يعتبره العلماء غير ناقض، ويعتبر الناقض هو النوم الطويل، ويسميه الفقهاء: نوم ليل... لأن الإنسان يفقد وعيه وينطلق أحيانا وكاؤه.

وروى بعضهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، نعس وقال: فنفخ وقام للصلاة واعتبروا هذا النفخ من النوم القليل، الذي لم يذهب معه العقل، فإن قيل إنه قد قال فهو من خصائص النبي، والأول أخفى للترخيص ونوم الليل يرتاح فيه الإنسان أكثر من نوم النهار، ذلك أن الجسم البشري فيه مواطن قوة ومواطن ضعف، فإذا أجهد وأحسّ بالتعب، ضعُف نشاطه حتى يستجمّ ويعاود نشاطه، والنوم من أهم ما يريح الجسم من التعب والإرهاق، فيتجدد النشاط ويكون هذا بالنسبة للإنسان بمثابة الماء والمنظفات التي تستعمل في تنظيف الثياب وغيرها مما يستعمله الإنسان ليعود الثوب أو الأثاث والمتاع نظيفا وجديدا.

وكذلك النوم بالنسبة لبدن الإنسان يجلأ صدأ التعب والإرهاق مثلما يجلو الماء مع تعدد المنظفات الأوساخ على الملابس وغيرها فتعود جديدة وكذلك الكير يجلو صدأ الحديد.

فسبحان من رعانا وحمانا من الشرور، في أنفسنا ومَن حولنا وفي أجسامنا وما أودع سبحانه فيها، من الأسرار والعجائب، التي تدعو إلى قوة الإيمان، وشكرا النعم المتفضل سبحانه، القائل وقوله الحق: {وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون} (النحل آية ٥٣) ونِعم الله لا تعدّ ولا تُحصى.

(للحديث صلة)

***

دفاع عن السنة

الجهود المبذولة في الدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم في شبه القارة الهندية الباكستانية

الأستاذ سهيل حسن عبد الغفار

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريک له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد:

فإن حب النبي صلى الله عليه وسلم إيمان تخفق به القلوب، ودم يجري في العروق، وذكر تلهج به الألسنة، لأن الله تعالى جعل له المقام الأرفع والمكان الأسمى {ألم نشرح لک صدرک، ووضعنا عنک وزرک} [١] وهو عليه الصلاة والسلام نبي الرحمة {وما أرسلناک إلا رحمة للعالمين} [٢] وهو رسول الصدق {والذي جاء بالصدق وصدق به} [٣] وهو صاحب المقام المحمود {ومن الليل فتهجد به نافلة لک عسى أن يبعثک ربک مقاما محمودا}. [٤]

إن محبة النبي صلى الله عليه وسلم أصل من أصول الإيمان، يقول الله تعالى: {قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره، والله لا يهدي القوم الفاسقين} [٥] فالله جل وعلا جمع في هذه الآية كل محبوبات الدنيا وكل متعلقات القلوب وكل مطامع النفوس ووضعها في كفة، وحب الله وحب رسوله في كفة. وفي الحديث الصحيح المشهور قوله: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين". [٦]

---

[١] سورة الشرح، الآيات: ١-٢.

[٢] سورة الأنبياء، الآية ١٠٧.

[٣] سورة الزمر، الآية: ٣٣.

[٤] سورة الإسراء، الآية: ٧٩.

[٥] سورة التوبة، الآية: ٢٤.

[٦] صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان، رقم الحديث: ١٤، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من الأهل والولد والوالد، رقم الحديث: ٦٣.

ومعلوم أن من لوازم حبه صلى الله عليه وسلم الذب عن عرضه، والغيرة على سنته، والحمية له إزاء ما قد يوجه إلى جنابه الكريم من إساءة لا تضر مقامه، ولا تنقص من قدره قطعا ويقينا، لكنها تؤثر في قلوب محبيه، وتشعل في نفوسهم من الغيرة ما يحركهم للانتصار لنبيهم صلى الله عليه وسلم.

إن المسلمين في شبه القارة الهندية الباكستانية كانوا من السباقين إلى هذا الخير فلم يتأخروا أبدا عن نصرة النبي صلى الله عليه وسلم بل فدوه بأرواحهم وأموالهم وأعراضهم وأولادهم، كما نرى في الحوادث التي مرت بهم في الهند بأيدي غير المسلمين، ثم في باكستان تارة بأيدي المسلمين أنفسهم، وتارة بأيدي غير المسلمين، وتارة بأيدي النحلة القاديانية، فقاموا بحركتين كبيرتين – كما فصلت في بحثي – حتى نجحوا في تحقيق مطالبهم، ونصرهم الله تعالى على أعداء النبي صلى الله عليه وسلم وأعداء الإسلام والمسلمين.

وقد حاولت إبراز جهود مسلمي شبه القارة في هذا البحث لنصرة النبي صلى الله عليه وسلم والدفاع عنه حسب الخطة التالية:

تمهيد: لمحة تاريخية عن دخول الإسلام في الهند

الفصل الأول: الحملات المغرضة ضد النبي صلى الله عليه وسلم:

المبحث الأول: اتهامات ودعاوي مناوئة من غير المسلمين.

المبحث الثاني: ادعاء النبوة من المتنبئ الكذاب الميرزا غلام أحمد القادياني.

المبحث الثالث: حركة إنكار حجية السنة.

المبحث الرابع: تأويل السنة النبوية من العقلانيين.

الفصل الثاني: دور العلماء وعامة الشعب في مقاومة هذه الحملات:

المبحث الأول: التأليف والتصنف.

المبحث الثاني: المناظرات والمباهلات.

المبحث الثالث: المسيرات والحملات الشعبية.

المبحث الرابع: إصدار الفتاوى.

الفصل الثالث: دور القضاء تجاه هذه الفتن:

المبحث الأول: الأحكام الصادرة من المحاكم المختلفة ضد القاديانية.

المبحث الثاني: الأحكام الصادرة ضد غير المسلمين.

المبحث الثالث: دور العلماء في الدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم في المحاكم.

الفصل الرابع: دور المجالس البرلمانية تجاه هذه الفتن:

المبحث الأول: دور البرلمان الباكستاني في إصدار قرار يقضي بتكفير الطائفة القاديانية.

المبحث الثاني: إصدار قانون للحفاظ على مقام الرسالة.

وإنني إذ أقدم هذا البحث أرجو أن يتقبل الله هذا الجهد المتواضع ويجعله في ميزان حسناتي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفصل الأول: الحملات المغرضة ضد النبي صلى الله عليه وسلم:

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: اتهامات ودعاوي مناوئة من غير المسلمين:

الحملات المغرضة من قبل الهنادكة:

لقد قام أهل الهند بثورة عارمة ضد الاستعمار عام ١٨٥٧م وقد اشترك فيها المسلمون بصورة عامة، وكان نتيجة ذلك أن قام الهنادكة والمسيحيون بحملة مناوئة للمسلمين لكي يضلوا المسلمين عن الطريق المستقيم ويجبروهم على اعتناق مبادئهم الضالة والمنحرفة. ويشهد التاريخ أن الهنادكة قد لعبوا في ذلك دورا بارزا لضرب المسلمين في أفكارهم ومعتقداتهم.

١ــ فقد كتب زعيم هندوسي وهو سوامي ديانند كتابا باسم ستيارت بركاش هاجم فيه الإسلام وذات النبي صلى الله عليه وسلم واتهمه باتهامات باطلة، فلما احتج المسلمون على هذا الكتاب وطالبوا الحكومة البريطانية التي كانت تستعمر الهند آنذاك بمنع الكتاب ومصادرته، فترددت الحكومة أول الأمر ثم لما رأت ثورة المسلمين وتفانيهم في حب النبي صلى الله عليه وسلم أمرت بحظر الكتاب ومصادرته.[٧]

٢ــ ثم قام رجل آخر من شياطينهم وهو مهاشه كرشن مدير تحرير جريدة برتاب فكتب كتابا باسم مستعار (بندت جمبوبتي لال) بعنوان رنگيلا رسول (أي الرسول العربيد) ــ والعياذ بالله ــ ونشر المدعو راج بال هذا الكتاب عام ١٩٢٣م، وقام المسلمون ضد هذا الكتاب وأقاموا دعوى في المحكمة العالية بلاهور، ولكن بسبب تعصب القاضي الهندوسي ردت

---

[٧] محمد إسماعيل قريشي، ناموس رسالت وقانون توهين رسالت، الفيصل للنشر، لاهور، ١٩٩٤م، ص ٤١١.

دعواهم، بل كل من اعترض على هذا الحكم صدر في حقه الحكم بالسجن والغرامة، فازدادت بذلك ثورة المسلمين ضد الحكومة والحكام، وحاولوا بشتى الطرق معاقبة الهنادك على جرأتهم ووقاحتهم، ولكن بسبب تعصب القضاة الهندوس لم يفلحوا في هدفهم، واستأنفوا القضية في محكمة عليا، وهناك أصدر القاضي البريطاني حكما بمنع الكتاب فقط، ولكن ذلك لم يهدأ من ثورة المسلمين إلى أن قام أحد الغيورين على دينه وهو خدا بخش من كشمير بمهاجمة الناشر الهندوسي وطعنه عدة طعنات بالسكين، ولكنه نجا من هذه المحاولة، وحوكم المهاجم المسلم وصدر بحقه الحكم بالسجن لسبع سنوات مع الأعمال الشاقة، ثم قام مسلم آخر وهو عبد العزيز من أفغانستان فهاجم هذا الهندوسي، ولكنه أصاب أحد جلسائه، فحوكم وعوقب بنفس الحكم الصادر بحق خدابخش.

ولم ينته انتقام المسلمين إلى هذا الحد، واستمرت جهود العلماء والسياسيين والمحامين للانتقام من هؤلاء الكفرة الحاقدين عن الإسلام وعلى نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم، فقام شاب آخر وهو علم الدين لتحقيق هذا الهدف وهاجم هذا الهندوسي الحاقد في دكانه فقتله بعد ما طعنه عدة طعنات، فقبض عليه وقدم إلى المحاكمة. والجدير بالذكر أنه حاول كبار المحامين المسلمين للدفاع عن هذا الشاب، وفي مقدمتهم المحامي الشهير محمد علي جناح المعروف بالقائد الأعظم مؤسس دولة باكستان، وكان آنذاك يمارس مهنة المحاماة وكان يتقاضى أتعابا عالية، ولكن علم الدين رفض كل هذه المحاولات الدفاعية عنه، وقال أمام القضاء بعد اعترافه: "لو كانت له مائة نفس لقدمها في سبيل الدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم"، حتى صدر الحكم بموته شنقا، ونفذ الحكم في ١٣ / ١٠ / ١٩٢٩ م، وحاول المسؤولون دفنه على جناح السرعة في ساحة السجن، وثارت ثائرة المسلمين على هذا التصرف وطالبوا بتسليم جثته حتى يدفنوه كما يليق بتضحيته، وخرجوا في مظاهرات ضخمة حتى خضعت الحكومة البريطانية لمطلبهم وسلمت لهم الجثة، وقدم المسلمون من كل حدب وصوب للصلاة عليه، وفي مقدمتهم الشاعر المسلم الشهير العلامة محمد إقبال والذي قال بهذه المناسبة: "لقد سبقنا—نحن الثرثارين—ابن الحدادين" رحمه الله تعالى.[٨]

٣— لقد ألف أحد الحاقدين الهنادكة وهو نتورام كتابا باسم تاريخ الإسلام، وشحن كتابه باتهامات شنيعة ضد الإسلام وضد النبي صلى الله عليه وسلم، فطالب المسلمون محاكمة

---

[٨] المصدر السابق، ص ٤١٧—٤٢٥.

هذا الكافر، وقدم للمحاكمة في شهر مارس عام ١٩٣٤م في كراتشي، وحكم القاضي بسجن عام واحد وغرامة مالية، ثم في الاستئناف أفرج عنه تحت كفالة، ولم يقتنع المسلمون بهذه التصرفات، وحاولوا إظهار استيائهم بطرق سلمية، ولكن هناك من كان يثور غضبا وهو عبدالقيوم من منطقة هزاره فدخل في قاعة المحكمة في إحدى جلسات القضية واقترب من المتهم حتى طعنه عدة طعنات بخنجر كان يحمله وأرداه قتيلا في قاعة المحكمة أمام القاضي الإنجليزي، فلما سأله عن سبب إقدامه على هذا الفعل فقال مشيرا إلى صورة الملك البريطاني على رأسه: "كما أنكم لا تتحملون إهانة مليككم، كذلك نحن المسلمين لا نتحمل إهانة ملك ديننا ودنيانا"، وحوكم عبدالقيوم حتى صدر في حقه الحكم بالموت، فشنق هو الآخر في سبيل الدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم. [٩]

٤– وفي عام ١٩٣٤م تفوه أحد الهنادكة بكلمات نابية في شأن الرسول صلى الله عليه وسلم، فقام شاب مسلم من بلدة قصور، وهو محمد صديق، فهجم عليه فصرعه أولا ثم طعنه بآلة حادة حتى قضى عليه، فحوكم الشاب وصدر بحقه الحكم بالموت، فاستشهد في ١٩٣٥/٣/٦م. [١٠]

٥– وفي عام ١٩٤٣م تكلم رجل من طائفة السيخ بكلمات مهينة ونابية في شأن الرسول صلى الله عليه وسلم، فلما سمع بذلک شاب مسلم عبد الله من بلدة قصور عاهد الله تعالى أنه سوف ينتقم لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فذهب بحثا عن هذا المفتري حتى وجده في قريته قرب بلدة شيخوبوره، فهاجمه ولم يتركه حتى ذبحه بيده، وكان مصيره أيضا الموت بعد المحاكمة. [١١]

٦– كما اشتهر في التاريخ رجل مسلم وهو عبد الرشيد الذي قتل هندوسيا المدعو سوامي شردهانند عندما سمع بإهانته لرسول الله صلى الله عليه وسلم. [١٢]

٧– هناک حادثة وقعت في دار أحد ضباط الإنجليز عندما تفوهت زوجته بكلمات نابية في شأن الرسول صلى الله عليه وسلم أمام خادمها المسلم، فما كان منه إلا أنه قتل هذه المرأة الإنجليزية، فحاكمه الإنجليز حتى علقوه على المشنقة. [١٣]

---

[٩] المصدر السابق، ص٤٢٥–٤٢٨.

[١٠] المصدر السابق، ص٤٢٨–٤٢٩.

[١١] المصدر السابق، ص٤٢٩–٤٣٠.

[١٢] المصدر السابق، ص٤٣٠–٤٣١.

[١٣] المصدر السابق، ص٤٣١.

هذه الحوادث كلها حدثت قبل استقلال باكستان عن الهند وهناك بعض الحوادث التي وقعت بعد استقلالها ومنها:

٨—في عام ١٩٦١م تكلم المبشر النصراني سيموئيل بكلمات فيها تهجم على ذات رسول الله صلى الله عليه وسلم، فزجره بعض الشباب المسلم، وهم زاهد حسين وزملاؤه، ولكنه لم يستجب لهم وأصر على عناده، فهجم عليه زاهد حسين وشج رأسه حتى مات النصراني نتيجة لهذه الضربة، واعترف الجاني بجريمته أمام القضاء، وعوقب بغرامة مالية فقط.

٩—وفي عام ١٩٦٤م سمع نفس هذا الشاب زاهد حسين بأن بعثة مسيحية في لاهور تنشر كتابا فيه مواد مهينة لشأن النبي صلى الله عليه وسلم فقام بالفور مع صديقه ألطاف حسين شاه إلى تلك البعثة، فأحرقها وقام زميله ألطاف حسين بإطلاق النار على مدير البعثة، ولكنه نجا من هذه المحاولة فحوكم الرجلان واعترفا بجريمتهما وصدرا بحقهما الحكم بالسجن لمدة ثلاث سنوات، وعند الاستئناف عرضت القضية أمام القاضي شيخ شوكت علي، فقال القاضي مخاطبا المدعي العام: أنه قد شعر في قرارة نفسه مع أنه ليس بملتزم بالدين ويعتقد في التسامح الديني، مع ذلك عندما قرأ هذا الكتاب لم يتمالك نفسه من الغضب لما فيه من عبارات في نهاية الإهانة، فبرأساحتهما، وأطلق سراحهما وطلب من الحكومة حظر الكتاب ومصادرته فورا.(١٤)

اتضح مما سبق في هذا المبحث أن قضية الدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم يشكل عند المسلمين قضية مصيرية، ولا يعبأون في هذا الشأن بشيء ولو ذهبت في ذلك أنفسهم، كما أنها ليست قضية فردية بل قام في ذلك المجتمع كله، وهذه الحوادث الأليمة كانت سببا في سن قوانين للحفاظ على كرامة الرسول صلى الله عليه وسلم ومعاقبة من دنسها ولعب بها، كما سنبين في المباحث التالية إن شاء الله تعالى.

المبحث الثاني: ادعاء النبوة من المتنبئ الكذاب الميرزا غلام أحمد القادياني:

التعريف بالقاديانية:

القاديانية حركة دينية نشأت في النصف الثاني للقرآن التاسع عشر الميلادي في بلاد الهند بدعم وتخطيط من الاستعمار الإنجليزي بهدف إبعاد المسلمين عن دينهم وإخضاعهم للسياسات والثقافات الاستعمارية الصليبية، وإخماد روح الجهاد والمقاومة في نفوس

---

(١٤) المصدر السابق، ص ٤٣٣—٤٣٥.

المسلمين حتى لا يواجهوا المستعمر الدخيل، وهي تنسب إلى رجل يدعي الميرزا غلام أحمد القادياني، وقاديان إحدى مدن مقاطعة بنجاب في الهند. (١٥)

من هو القادياني؟

هو غلام أحمد بن الميرزا غلام مرتضى، ولد عام ١٨٣٩م أو ١٨٤٠م، عرف والده الميرزا غلام مرتضى بموالاته للحكومة الإنجليزية ومساعدتها في إخماد الثورة الإسلامية، ومساندة حكم السيخ الطغاة أشد أعداء الإسلام في بلاد الهند. وقد اعترف غلام أحمد بموالاة والده للإنجليز، ومن أقواله في ذلك: "لم تبخل عائلتي ولم تضن، ولن تبخل ولن تضن بدماء أبنائها في خدمة المصالح الإنجليزية أبدا". (١٦)

عرف غلام أحمد القادياني بإصابته بطائفة من الأمراض النفسية والجسدية الفتاكة، منها: الهستيريا، التي كانت تسبب له نوبات عصبية عنيفة تؤدي إلى إغمائه أحيانا، والماليخوليا، وهو نوع من الجنون، والسل وأمراض الصدر، ودوار الرأس، وسلس البول، وقد أصيب بالمرضين الأخيرين منذ ادعائه بأنه مأمور، وأنه يتلقى الإلهامات من الله عز وجل. (١٧)

وفاته: وفي عام ١٩٠٧م جرى نقاش ومناظرة بين العالم الهندي المشهور مولانا "ثناء الله الأمرتسري" والميرزا غلام أحمد القادياني، تحدى على إثره القادياني بأن الكاذب المفتري منهما سيموت، ودعا الله تعالى بأن يكون الموت في حياة صاحبه، ويسلط عليه داء مثل الكوليرا أو الطاعون به يكون موته. (١٨)

وفي شهر مايو ١٩٠٨م أصيب القادياني بالهيضة (الكوليرا) الوبائية، وبها كان حتفه، وفي قاديان مسقط رأسه دفن غلام أحمد القادياني. وأما مولانا ثناء الله الأمرتسري فقد توفي بعد أربعين سنة من هلاك الكذاب. (١٩)

خلف غلام أحمد القادياني أحد أتباعه، وهو حكيم نور الدين، ثم خلفه ابنه بشير الدين محمود أحمد، وبعد وفاته تولى الخلافة الميرزا ناصر أحمد بن بشير الدين محمود أحمد.

---

(١٥) أبو الحسن علي الندوي، القادياني والقاديانية، مطبعة ق بالهند، ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م، ص ١٩.

(١٦) أبو الأعلى المودودي، ماهي القاديانية، ص ١٢.

(١٧) إحسان إلهي ظهير، القاديانية، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، ص ٢٢—٢٥.

(١٨) المصدر السابق، ص ١٥٧.

(١٩) الندوي، القادياني والقاديانية، ص ٢٥، إحسان إلهي، القاديانية، ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م، ص ١٥٩.

ولما تأسست باكستان عام ١٩٤٧م، بقي جماعة من القاديانيين في قاديان في الهند، وهاجر الباقون بمن فيهم خليفتهم الراحل بشير الدين محمود أحمد إلى باكستان، حيث أسس هؤلاء مدينة خاصة بهم سمّوها ربوة، مستدلين في ذلك بقول الله تعالى: {وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين}. [٢٠]

العقيدة القاديانية:

لقد تدرج الميرزا غلام أحمد في اعتقاداته، فزعم أولا أنه مصلح ومجدد للدين فقط، ولما وجد من المسلمين من يصدقه، زعم بأنه مثيل للمسيح ومشابه له، ثم ادعى أنه المسيح الموعود، ولما راجت أفكاره وشاعت اعتقاداته وكثر أتباعه، أعلن أنه النبي المحدث أو النبي الناقص، ثم صرح بأنه نبي مستقل بالوحي وبشريعة مستقلة. [٢١]

إن ادعاء النبوة من قبل الميرزا غلام أحمد القادياني يقتضي تكفير من لا يؤمن بها، وهذا ما فعله القاديانيون، إذ ذهبوا إلى تكفير منكري نبوة القادياني، وصرحوا بذلك علنا في خطبهم وكتاباتهم، وعلى هذا فإن المسلمين جميعا كافرون لأنهم يعتقدون أن الميرزا غلام رجل ضال مهووس، ليس بنبي ولا ولي، بل رجل دجال مدعي النبوة، سبقه إلى ذلك كثير من المتهوسين الأدعياء أمثال مسيلمة الكذاب الذي ظهر زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقتل في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وقد أخبر عنهم الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام ومن ذلك قوله: "وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي"[٢٢]، وقوله: "لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله". [٢٣]

ومن المعلوم بالضرورة من دين الإسلام أن رسول الله صلى الله عليه وسلم محمدا هو خاتم الأنبياء والمرسلين، وأنه لا نبي بعده، ولا ينكر ذلك إلا من هو مرتد زنديق. قال تعالى: {ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما}. [٢٤]

وقد رتّبوا على تكفيرهم لمنكري نبوة القادياني:

١- عدم الصلاة على موتى المسلمين غير القاديانين، ولقد رفض الميرزا نفسه الصلاة على ولده المتوفى فضل، لأنه كان مخالفا له.

---

[٢٠] سورة المؤمنون، الآية: ٥٠.

[٢١] القاديانية، ص ١٣٥-١٣٩.

[٢٢] سنن الترمذي، كتاب الفتن، رقم الحديث: ٢١٤٤، سنن أبي داود، كتاب الفتن، رقم الحديث: ٤٢٥٤.

[٢٣] صحيح البخاري، كتاب المناقب، رقم الحديث: ٣٤١٣.

[٢٤] سورة الأحزاب، الآية: ٤٠.

٢–حرمة تزويج بنات القاديانيين لغيرهم، وجواز زواج القادياني من بنات غيرهم، أي معاملتهم معاملة أهل الكتاب، كما صرح بذلك القادياني غلام أحمد نفسه.

٣–عدم صحة الصلاة خلف غير القادياني.

٤–معاملة المسلمين –غير القاديانيين– معاملة الرسول صلى الله عليه وسلم للنصارى واليهود.

٥–القادياني أفضل من الأنبياء: وزعم الميرزا غلام أحمد أنه تفوق على الأنبياء جميعا، إذ جمع في شخصه ما تفرق في الأنبياء من الصفات، وأنه الرجل الذي أراد الله تعالى أن يتمثل فيه جميع الأنبياء والمرسلين.

وقد تفوق على رسول الله صلى الله عليه وسلم في روحانيته، ذلك أن روحانية الرسول قد تجلت في عصره بصفات إجمالية لأنها لم تبلغ غاياتها وأوجها بعد، وتجلت هذه الروحانيات في القرن العشرين في شخص غلام أحمد في أبهى حللها وأرقى مظاهرها. وقد ضمن هذه المزاعم في كتابه الخطبة الإلهامية. [٢٥]

ولقد صرّح بهذا الاعتقاد الشنيع الميرزا بشير الدين محمود الخليفة الثاني قائلا: "إن غلام أحمد أفضل من بعض أولي العزم من الرسل ... إنه كان أفضل من كثير من الأنبياء، ويجوز أن يكون أفضل من جميع الأنبياء". [٢٦]

هذا مجمل سيرة المتنبئ ونبذة من عقائده، ولو ذهبنا نفصل لاضطررنا إلى تأليف كتاب كامل، وقد بين الشيخ إحسان إلهي ظهير رحمه الله تعالى التفاصيل في كتابه القاديانية: دراسة وتحليل، ويكفينا ما قاله الشيخ أبو الحسن علي الندوي رحمه الله تعالى: "الديانة القاديانية هي ثورة على النبوة المحمدية على صاحبها الصلاة والسلام، وعلى الإسلام، ومؤامرة دينية وسياسية، إن وجد لها نظير في الخطر والضرر على الإسلام ففي الحركة الإسماعيلية الباطنية التي تولى كبرها عبيد الله بن ميمون القداح في القرن الثالث الهجري، وأشك أنها بلغت مبلغ الأولى القاديانية في إصالة الفساد ودقة المؤامرة ومعاداة الإسلام". [٢٧]

(يتبع)

***

[٢٥] إحسان إلهي، القادياني والقاديانية، ص٧٣–٧٤.

[٢٦] المصدر السابق، ص٧٥.

[٢٧] المصدر السابق، ص٣.

تعليم اللغة العربية
للناطقين بها ولغير الناطقين بها

د. عبد الرحمن بن إبراهيم الفوزان/ الرياض

اللغة العربية بين الماضي والحاضر:

نزل القرآن الكريم باللغة العربية، فأحياها، وضمن بقاءها، ونشرها في كل مكان وصلت إليه الدعوة، وأقبل الناس على تعلم اللغة العربية بحماس في العصور الإسلامية الأولى، ثم انحسر تعليمها، وقل الإقبال عليها في العصور المتأخرة حتى أطل القرن العشرون وبخاصة النصف الثاني منه، فعادت العربية سيرتها الأولى، فأصبحت اللغة الثانية، التي تعلم إجباريا في كثير من البلاد الإسلامية: في إفريقيا، وجنوب شرق آسيا، كما أنها إحدى اللغات التي يقبل على تعلمها الكثيرون في أوروبا وأمريكا.

اكتساب اللغة:

يقصد باكتساب اللغة العملية غير الشعورية، وغير المقصودة، التي يتم بها تعلم اللغة الأم، ذلك أن الفرد يكتسب لغته الأم، في مواقف طبيعية، وهو غير واع بذلك، ودون أن يكون هناك تعليم مخطط له، وهذا ما يحدث للأطفال، وهم يكتسبون لغتهم الأولى، فهم لا يتلقون دروسا منتظمة في قواعد اللغة، وطرق استعمالها، وإنما يعتمدون على أنفسهم، في عملية التعلم، مستعينين بتلك القدرة، التي زودهم بها الله تعالى، والتي تمكنهم من اكتساب اللغة في فترة قصيرة، وبمستوى رفيع.

تعلم اللغة:

يقصد بتعلم اللغة تلك العملية الواعية، المخطط لها من أطراف عديدة، لتمكين الفرد من تعلم اللغة الثانية، أو الأجنبية، وتتم هذه العملية — عادة — في مرحلة متأخرة من العمر، بعد مرحلة الطفولة المبكرة. ومن أهم ما يميز تعلم اللغة عن اكتساب اللغة ما يلي: اختلاف الدوافع في الحالتين، فالفرد في حاجة إلى اللغة الأم، لأداء وظائف حياته الأساسية، أما بالنسبة للغة

الأجنبية، فالدوافع خارجية، فقد تكون ثقافية، أو اجتماعية، أو اقتصادية، أو سياسية. ومن ناحية أخرى تختلف البيئة في الحالتين: فاكتساب اللغة، يتحقق في مجتمع اللغة، بشكل طبيعي، حيث يتعرض الطفل بصورة مستمرة للغة الأم، أما متعلم اللغة، فيتلقاها في بيئة مصطنعة، وفي فترة قصيرة، ومن معلمين غير ناطقين باللغة غالبا. وتنعكس تلك الاختلافات على الطرق والأساليب، والمادة التعليمية.

بين تعليم اللغة لأبنائها، وتعليمها لغير أبنائها

هناك فرق كبير بين تعليم اللغة لأبنائها، وتعليمها لغير أبنائها. وقليل من الناس من يعرف ذلك، حتى بين المتخصصين في الدراسات العربية، من الذين لم يتح لهم فرصة لدراسة علم اللغة التطبيقي.

ولذا ينبغي أن يختلف:

- الكتاب التعليمي، لتعليم العربية لغير الناطقين بها عن الكتاب التعليمي لتعليم العربية لأبنائها، من حيث الغرض والبناء والوسيلة.
- معلم اللغة لغير أهلها عن معلمها لأهلها.
- طرق تعليم اللغة لغير أهلها عن طرق تعليمها لأهلها.

ولكن تم إغفال هذه الفروق الأساسية زمنا طويلا، وكنا –وما زلنا مع الأسف– نبعث بالكتب التي نستعملها في مدارسنا العربية إلى البلدان الشقيقة غير العربية، التي تطلب مساعدتنا في تعليم لغتنا في مدارسها.

وبصورة عامة يكمن الفرق الجوهري بين الكتاب المخصص للعرب والكتاب المخصص لغيرهم في أن الأول يستعمله تلاميذ ينتمون إلى الثقافة ذاتها ويتكلمون اللغة العربية التي يتعلمونها، وقد اكتسبوا أساسيات اللغة قبل الدخول في التعليم الأساسي، أما الثاني فيستعمله طلاب لا ينتمون إلى الثقافة نفسها ولا يعرفون اللغة العربية. وهذا يعني أن الكتاب الذي يصلح لتدريس اللغة العربية لأبنائها قد لا يصلح لتدريسها لغير الناطقين بها.[١]

ولو أخذنا مثالا واحدا لتبين من خلاله البون الشاسع بين هذين النوعين من الدارسين، فإن كلمة (قلم) على سبيل المثال، لا يحتاج أهل اللغة في أوائل تعلمهم لها إلا إلى تعلم كيفية

[١] د. علي محمد القاسمي: اتجاهات حديثة في تعليم اللغة العربية للناطقين باللغات الأخرى ٩٩–١٠٠ (بتصرف)

قراءتها وكتابتها، وأما بقية المهارات فإنها ليست عندهم صعبة فهم يفهمونها إذا سمعوها، ويستعملونها في كلامهم، وكذلك فإن أصواتها قد اعتادوا عليها ويميزونها من غيرها، كما أن معناها معلوم لديهم ويستطيعون استعمالها في تراكيب اللغة.

بينما في المقابل يحتاج متعلم العربية من غير أهلها إلى كل ذلك، فقد لا يستطيع تمييز بعض أصواتها، ولا يعرف معناها، ولا يستطيع استعمالها في تركيب صحيح ويصعب عليه تمييزها إذا سمعها، ولا يستطيع استعمالها في كلامه، ويصعب عليه أيضا قراءتها وكتابتها، ولهذا يحتاج إلى تعلم عناصر اللغة الثلاثة (الأصوات، والمفردات، والتراكيب) ومهاراتها الأربع (الاستماع، والكلام، والقراءة، والكتابة)، بينما لا يحتاج أهل اللغة في الأساس وفي الغالب إلا إلى مهارتي القراءة، والكتابة.

وما زالت بعض الحكومات العربية تمدّ يد العون إلى المسلمين الراغبين في تعلم اللغة العربية بمدرسين من ذوي الخبرات في تعليم اللغة العربية، ولكن — ويا للأسف — خبرتهم كبيرة في تعليم اللغة العربية لأبناء العرب، وليس لغير الناطقين بها، وكثير منهم لا يظن أن هناك فرقا بين النوعين من الدارسين، ولذا فجهودهم — مع اجتهادهم الكبير — نجاحها قليل، للفرق الكبير بين الطالب العربي والطالب غير العربي، في تعلم اللغة العربية، وما حققه هؤلاء من نجاح في تعليم العربية بهذه الطرق يعود في أساسه إلى سببين أساسيين، هما:

- الدافعية القوية لدى المتعلمين.
- وبركة العلم الشرعي وما يخدمه من علوم.

ولو اجتمع مع هذين السببين طريقة صحيحة، وعلمية في تعليم العربية لرأينا نجاحات أكثر، ودرجة من الجودة أفضل وأشمل، في وقت أقل. والشاعر يقول:

ولم أرَ في عيوب الناس عيبا   كنقص القادرين على التمام

يسعى متعلم اللغة العربية إلى تحقيق ثلاث كفايات، هي:

- أولا: الكفاية اللغوية: والمقصود بها سيطرة المتعلم على النظام الصوتي للغة العربية، تمييزا وإنتاجا، ومعرفته بتراكيب اللغة، وقواعدها الأساسية، نظريا ووظيفيا، والإلمام بقدر ملائم من مفردات اللغة، للفهم والاستعمال.

- ثانيا: الكفاية الاتصالية: ونعني بها قدرة المتعلم على استخدام اللغة العربية بصورة تلقائية، والتعبير بطلاقة عن أفكاره وخبراته، مع تمكنه من استيعاب ما يتلقى من اللغة في يسر وسهولة.
- ثالثا: الكفاية الثقافية: ويقصد بها فهم ما تحمله اللغة العربية من ثقافة، تعبر عن أفكار أصحابها وتجاربهم وقيمهم وعاداتهم وآدابهم وفنونهم.

وعلى مدرس اللغة العربية تنمية هذه الكفايات الثلاث، لدى طلابه من بداية برنامج تعليم اللغة العربية إلى نهايته، وفي جميع المراحل والمستويات.

وبينما يقوم مدرسو اللغة العربية، ومعدّو المادة التعليمية، ببذل كل ما لديهم من مهارت وطاقات، لتمكين المتعلم من إتقان الكفايات الثلاث: اللغوية والاتصالية والثقافية. وبملاحظة ما يحققه الطلاب من تعلم. فقد ظهر أن كثيرين من الطلاب يقفون عند حدود الكفاية اللغوية، ويعجزون عن استخدام اللغة العربية وسيلة اتصال.

وهناك فريق ثان من الطلاب، يحقق مستوى طيبا من الاتصال باللغة العربية، غير أنه يرتكب كثيرا من الأخطاء اللغوية. وهناك فريق ثالث من الطلاب يلم بكثير من قواعد اللغة العربية، ويمكنه التواصل بها، غير أنه يجهل الثقافة العربية. ويمكن القول، بأن الطوائف الثلاث من الطلاب لم تبلغ الغاية المنشودة من تعلم اللغة العربية، وهي إتقان الكفايات الثلاث بمستوى طيب، وبشكل متوازن.

إثارة دافعية الطلاب نحو تعلم اللغة العربية:

يقصد بالدافعية تلك القوة النفسية الداخلية التي تحرك المتعلم للإقبال على التعلم بكل فاعلية، والوصول إلى المستوى المأمول، وللدافعية تأثير كبير في التعليم، فكلما كان وراء الدارس دافع يستحثه وحافز يشده إلى التعلم كان ذلك أدعى إلى إتمامه وتحقيق الهدف منه، وفقدان الدافع أو ضعفه وراء الكثير من حالات الفشل في التعلم.

وتلعب الدوافع موجهات للسلوك الإنساني، ويستطيع المعلم الفعال أن يثير تلك الدوافع ويوظفها في الموقف التعليمي، وينصح المعلمون بإثارة دوافع الطلاب نحو التعلم، حيث إن استخدام المعلم للدوافع يجذب الطلاب ويثير اهتمامهم، وبذلك يكونون:

- أكثر استعدادا للتركيز والاهتمام بالموضوع مجال الدراسة.

- نشيطين وقادرين على توجيه الأسئلة عن الموضوع.
- أكثر قابلية للمشاركة في النشاط الصفي وجعله أكثر حيوية وإثراء.

مقترحات تساعد على استثارة دوافع الدارسين للتعلم:

١- وعي الطلاب بالأهداف.

٢- تنمية الجانب الروحي لتعلم اللغة العربية.

٣- تقديم المهارات والمعلومات في سياقات ذات معنى.

٤- البناء على خبرات الدارسين.

٥- تحفيز المشاركات الإيجابية للدارسين.

٦- التنوع في أوجه النشاط الصفي.

٧- الاهتمام بالمنهج الخفي والأنشطة اللاصفية التي تخدم.

٨- استخدام أساليب التعزيز المتعددة.

وهناك أسباب كثيرة لإثارة الدافعية لدى المسلمين خاصة، ومن أهمها:

- أن اللغة العربية من الدين، قال ابن تيمية – رحمه الله -: (معلوم أن تعلم العربية وتعليم العربية فرض على الكفاية). وقال أيضا: (إن اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا باللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به، فهو واجب) فالعبادة من صلاة ودعاء وتلاوة للقرآن الكريم، وكثير من شعائر الإسلام لا تؤدى، ولا يتم فهمها، وتدبرها إلا باللغة العربية، ولم يجز أحد من الأئمة مطلقا، أن تؤدى الصلاة بغير العربية، والصلاة فرض عين.
- معرفتها تحمي من الوقوع في الشبه والبدع. قال الشافعي – رحمه الله -: (ما جهل الناس، ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب، وميلهم إلى لسان أرسطاليس) وقال أيضا: (لا يعلم من إيضاح جُمل علم الكتاب أحد، جَهِل سعة لسان العرب، وكثرة وجوهه، وجماع معانيه وتفوقها. ومن علمها، انتفت عنه الشبه، التي دخلت على من جهل لسانها) وقال السيوطي – رحمه الله -: (وقد وجدت السلف قبل الشافعي، أشاروا إلى ما أشار إليه من أن سبب

الابتداع الجهل بلسان العرب). وقال الحسن البصري – رحمه الله – في المبتدعة: (أهلكتهم العجمة).

ولهذا كانت أول بدعة ظهرت في المسلمين من قبل العجمة، قال الأوزاعي رحمة الله عليه: "أول من نطق في القدر: رجل من أهل العراق يقال له سوسن كان نصرانيا فأسلم ثم تنصر فأخذ عنه معبد الجهني وأخذ غيلان عن معبد" ولهذا قال الحسن البصري: أهلكتهم العجمة.[1]

أخرج البيهقي عن الأصمعي أنه قال: جاء عمرو بن عبيد المعتزلي إلى أبي عمرو بن العلاء يناظره في وجوب عذاب الفاسق، فقال: يا أبا عمرو ويخلف الله ما وعده؟ قال: لا، قال: أفرأيت من أوعده الله على عمل عقابا، أيخلف الله وعده فيه؟ فقال أبو عمرو بن العلاء: من العجمة أتيت يا أبا عثمان، الوعد غير الوعيد ثم أنشد:

وإني وإن أوعتـــــه أو وعـــدتـــه   لمخلف إيعادي ومنجز موعدي[2]

- معرفة اللغة العربية سبب من أسباب التيسير، كما قال تعالى: [فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون].
- (اللسان العربي شعار الإسلام وأهله، واللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها يتميزون) كما قال ابن تيمية رحمه الله.
- قوتها سبب لعز الإسلام والمسلمين. قال مصطفى صادق الرافعي (ما ذلت لغة شعب إلا ذل، ولا انحطت إلا كان أمره في ذهاب وإدبار، ومن هذا يفرض الأجنبي المستعمر لغته فرضا على الأمة المستعمرة).
- اللغة العربية من أقوى الروابط بين المسلمين، والأمم تحرص على تعليم لغاتها، لتقرب المتعلمين إليها، فالمشابهة في الظاهر – ومنه اللغة – تورث المشابهة في الباطن – ومنه قضايا الثقافة والعقائد.
- تعليم العربية من أهم الوسائل لعرض الثقافة الإسلامية، فاللغات تحمل ثقافة أصحابها.

---

[1] منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة ٢/٥٠٧–٥٠٨، نقلا عن الجامع لشعب الإيمان ٢/١٠٣–١٠٥.

[2] انظر: نواقض الإيمان القولية والعملية ٢٣١.

بين علم اللغة وتعليم اللغة، وبين عالم اللغة ومدرس اللغة:[١]

أصبح واضحا لدى الكثيرين — الآن — أن علم اللغة شيء، وأن تعليم اللغة شيء آخر، رغم ما بينهما من صلات وثيقة. وقد أدرك كثير من اللغويين أن مهمتهم الأساسية، هي الوصف العلمي للظاهرة اللغوية، وتحليل بنيتها، أما تعليم اللغة فمجال آخر، يخرج عن دائرة اختصاصهم. إن جل ما يستطيع اللغويون، بصفتهم لغويين تقديمه لنا من مساعدة، ينحصر في وصف اللغة، ومقارنتها فقط. قلما يكون اللغويون مدربين، خارج نطاق علم اللغة، الأمر الذي يجعل اللغوي في حديثه عن تدريس اللغة، أو تعلمها، لا يعكس أية خبرة، بل ربما قال، أو كتب أشد الأمور سخفا، وأقلها واقعية، وهذا ما حدث بالفعل في الماضي.

ذلك هو علم اللغة تعريفا وموضوعا ومجالا، فإذا انتقلنا إلى موضوع تعليم اللغة ومجالاته، فيجب القول بأن موضوع تعليم اللغة ينحصر في محاولة الوصول إلى أفضل المناهج والطرق، وأحسن الأساليب التي يتم بها تعليم اللغة، وبهذا فهو يتناول الكيفية التي يتعلم بها الإنسان اللغة، سواء أكانت لغة أما أم أجنبية. وتدريس اللغة جهد منظم، يقوم به المدرس، لإحداث تعلم اللغة لدى تلميذ أو أكثر من الناطقين بلغات أخرى غير اللغة هدف التعلم، وتدريس اللغة يجب أن يبنى على أسس وقواعد يختارها خبراء تعليم اللغة، لا علماء اللغة.

يتضح لنا مما سبق أن دراسة اللغة غير تعليم اللغة، كما أن عالم اللغة يختلف عن مدرس اللغة. وإذا كان عالم اللغة يستطيع أن يقوم بعمله، وهو مستقل تماما عما يحدث في مجال تعليم اللغة، فإن مثل هذا الاستقلال، لا سبيل إليه بالنسبة لمدرس اللغة. ومن جهة أخرى، فعالم اللغة له مجاله الخاص، ويتم إعداده وفق خطة معينة. ومدرس اللغة هو الآخر له مجاله الخاص، ويتم إعداده وفق خطة معينة، تختلف عن الخطة السابقة. وليس مطلوبا من مدرس اللغة أن يكون عالما في اللغة متعمقا في نظرياتها. إن المطلوب من مدرس اللغة أن يلم بأساسيات علم اللغة الحديث، مع التركيز على الجوانب ذات الطبيعة الوظيفية منه. ولا يفهم من كلامنا هذا، أن عالم اللغة محرم عليه القيام بتعليم اللغة، وإنما له ذلك، إذا توفرت لديه الموهبة، وتلقى

[١] د. مختار الطاهر حسين، تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في ضوء المناهج الحديثة، ص١١٤—١١٦.

تدريبا ملائما في مجال تعليم اللغة. إن معلم اللغة ليس في حاجة إلى أن يكون عالم لغة، وعالم اللغة ليس في حاجة كذلك، إلى أن يكون معلم لغة.

إن مجال تعليم اللغة شديد الصلة بمجال الدراسة اللغوية، وذلك لأن اللغة هي الموضوع الذي سنقوم بتعليمه. وهذا يعني ضرورة معرفة مدرس اللغة باللغة: حقيقتها وطبيعتها. وتلك المعرفة، إنما تتحقق عن طريق علم اللغة، الذي لا يمكن معرفة اللغة معرفة علمية دون الاستعانة به. وعملية تعليم اللغة تقتضي إلماما أوليا بقضايا اللغة، وذلك لأن من يرغب في أن يعلم اللغة، لا يكون بمقدوره القيام بعمله على نحو فعال، ما لم تكن له الخبرة الكافية باللغة وبطرق تحليلها.

لا يستطيع مدرس اللغة أداء عمله بشكل صحيح، إذا لم تكن لديه دراية علمية باللغة، وإلا كان عليه أن يعلم شيئا يجهله. ومن ناحية أخرى، يجب على مدرس اللغة الاطلاع على الجهود التي يقوم بها علماء اللغة، والانتفاع بها في مجال عمله، وإلا اتسم عمله بالقصور والنقص. وهذا الجانب اللغوي أحد الجوانب الرئيسة في إعداد مدرس اللغة وتأهيله.

مهمة علم اللغة الأساسية، هي أن يزيد معرفتنا بطبيعة اللغة وماهيتها، وهدفه النهائي تقديم الوصف اللغوي الأمثل، وهو لا يضع في اعتباره غاية تعليمية، غير أن الوصف اللغوي الذي يطرحه يستفاد منه في ميدان تعليم اللغة. وهذه الملاحظة تعني أن علم اللغة لا يعني بتقديم المساعدة لمدرسي اللغة الأجنبية بشكل مباشر، كما أن التطورات التي تصيب علم اللغة، لا تؤدي بالضرورة إلى تطورات مماثلة في ميدان تعليم اللغة الأجنبية. وينحصر دور علماء اللغة إذن في دراسة الظاهرة اللغوية ... وصفا وتحليلا، ولا يضعون في اعتبارهم أغراضا تعليمية. ويبدأ دور مدرسي اللغة عند النقطة التي ينتهي فيها دور علماء اللغة.

***

آداب إسلامية

آداب الزكاة

الشيخ لطف الحق المرشدآبادي
المدرس بجامعة شمس الهدى السلفية، دلال فور، جاركند

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

هذه كلمة موجزة في آداب الزكاة في الإسلام، أريد أن أقدمها بين يدي القارئ الكريم ليعرف جيدا مسائل الزكاة وأحكامها، وإني إنما أطلت الكلام في الزكاة ومسائلها وأحكامها لكونها ركنا من أركان الإسلام الخمسة، ولجهل كثير من الناس عن أحكامها ومسائلها، فأقول وبالله التوفيق والعصمة:

أهمية الزكاة في الإسلام:

قبل أن أبدأ بالمقصود أود أن ألقي بعض الضوء على أهمية الزكاة في دين الإسلام، ليكون القارئ الكريم على معرفة بها وبصيرة منها.

إن الزكاة لها أهمية عظيمة ومكانة مرموقة في دين الإسلام، لا يبقى الدين ولا ينتظم أمره إلا بها، ونظرا إلى أهمية الزكاة قرن الله جل وعلا ذكرها بالصلاة والإيمان في مواضع كثيرة من كتابه المجيد فقال: {الذين يؤمنون بالغيب، ويقيمون الصلاة، ومما رزقناهم ينفقون}. [1]

وقال تعالى: {وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين}. [2]

وقال: {وقولوا للناس حسنا، وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة}. [3]

وقال: {وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة}. [4]

وقال: {وأقام الصلاة وآتى الزكاة} الآية. [5]

وقال: {وقال الله إني معكم، لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة} الآية. [6]

وقال: {إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة، وهم راكعون}. [7]

---

(١) البقرة: ٣.
(٢) البقرة: ٤٣.
(٣) البقرة: ٨٣.
(٤) البقرة: ١١٠.
(٥) البقرة: ١٧٧.
(٦) المائدة: ١٢.
(٧) المائدة: ٥٥.

وقال: {الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون، أولئک هم المؤمنون حقا} الآية.[١]

وقال: {يتساءلون عن المجرمين، ما سلككم في سقر، قالوا لم نک من المصلين، ولم نک نطعم المسكين}.[٢]

هذا! وكذلک نجد في القرآن المجيد نصوصا كثيرة ورد فيها ذكر الزكاة مقرونا بالصلاة، عدا ما ذكر أعلاه، تركتها مخافة الطول. وأما النصوص القرآنية، التي جاء فيها ذكر الإنفاق في سبيل الله، وورد فيها الترغيب في ذلک فهي كثيرة جدا، لا يسع المجال لذكرها، مع ذلک أذكر طرفا منها، لكي تتجلى مكانة الزكاة وأهميتها في دين الإسلام.

قال الله تعالى: {يسألونک ماذا ينفقون، قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل} الآية.[٣]

وقال تعالى: {من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة} الآية.[٤]

وقال: {يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة} الآية.[٥]

وقال: {مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة، والله يضاعف لمن يشاء، والله واسع عليم}.[٦]

وقال: {ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين}.[٧]

وقال: {يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض} الآية.[٨]

وقال: {إن تبدوا الصدقات فنعما هي، وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم، ويكفر عنكم من سيئاتكم} الآية.[٩]

وقال: {وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون}.[١٠]

---

[١] الأنفال: ٣، ٤.
[٢] المدثر: ٤٠، ٤٤.
[٣] البقرة: ٢١٥.
[٤] البقرة: ٢٤٥.
[٥] البقرة: ٢٥٤.
[٦] البقرة: ٢٦١.
[٧] البقرة: ٢٦٥.
[٨] البقرة: ٢٦٧.
[٩] البقرة: ٢٧١.
[١٠] البقرة: ٢٧٢.

وقال: {الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون}. (١)

وقال: {فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل، ذلك خير للذين يريدون وجه الله، وأولئك هم المفلحون، وما آتيتم من ربا ليربوا في أموال الناس فلا يربوا عند الله، وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون}. (٢)

وقال: {وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه، وهو خير الرازقين}. (٣)

وقال: {من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله أجر كريم}. (٤)

وقال: {إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم، ولهم أجر كريم}. (٥)

وقال: {آمنوا بالله ورسوله، وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه، فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير}. (٦)

وقال: {تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا، ومما رزقناهم ينفقون}. (٧)

وقال: {إن المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، والقانتين والقانتات، والصادقين والصادقات، والصابرين والصابرات، والخاشعين والخاشعات، والمتصدقين والمتصدقات، والصائمين والصائمات، والحافظين فروجهم والحافظات، والذاكرين الله كثيرا والذاكرات، أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما}. (٨)

وقال: {الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار}. (٩)

هذا! وكذلك يجد الناظر في القرآن آيات كثيرة جاء فيها الترغيب والحض على الإنفاق في سبيل الله عدا ما ذكر أعلاه، تركتها مخافة الإطناب.

---

(١) البقرة: ٢٧٤.
(٢) الروم: ٣٨، ٣٩.
(٣) سبأ: ٣٩.
(٤) الحديد: ١١.
(٥) الحديد: ١٨.
(٦) الحديد: ٧.
(٧) السجدة: ١٦.
(٨) الأحزاب: ٣٥.
(٩) آل عمران: ١٧.

وذم الله تعالى الذين آتاهم من فضله فلا ينفقون في سبيله قائلا: {ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم، بل هو شر لهم، سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة} الآية. [١]

وتوعد سبحانه وتعالى الممسكين بالعذاب المهين قائلا: {الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله، وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا}. [٢]

وبشر سبحانه وتعالى الكانزين، الذين يجمعون المال ويعددونه ولا ينفقونه في سبيل الله، بعذاب شديد قائلا: {والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم، يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم، هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون}. [٣]

ويحسن الآن أن ألقي فيما يلي ضوءا يسيرا على أهمية الزكاة ومكانتها في السنة النبوية الشريفة، لكي تتجلى بوضوح أمام القارئ الكريم أهمية الزكاة ومنزلتها.

وتتضح أهمية الزكاة من الأحاديث النبوية الشريفة التالية:

أ—عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "بني الإسلام على خمسة، على أن يوحد الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، والحج". [٤]

ب—وجاء في حديث جبرئيل عليه الصلاة والسلام أنه قال: يا رسول الله! ما الإسلام؟ قال: "الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان" الحديث. [٥]

ج—وعن أبي أيوب قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: دُلني على عمل أعمله يدنيني من الجنة، ويباعدني من النار، قال: "أن تعبد الله لا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤدي الزكاة، وتصل ذا رحمك" الحديث. [٦]

د—وعن ابن عباس أن معاذا قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إنك تأتي قوما من أهل الكتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم، فترد في فقرائهم" الحديث. [٧]

---

[١] آل عمران: ١٨٠.
[٢] النساء: ٣٧.
[٣] التوبة: ٣٤، ٣٥.
[٤] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام.
[٥] رواه مسلم، في صحيحه، كتاب الإيمان، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
[٦] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب السؤال عن أركان الإسلام.
[٧] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام.

ففي هذه الأحاديث الشريفة دلالة ظاهرة على أهمية الزكاة البالغة ومكانتها العالية في الإسلام.

ولما تُوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستخلف سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه بعده أعلن قتال الذين ارتدوا عن الدين، فأنكروا الشرائع، وفرقوا بين الصلاة والزكاة، فأقروا بالصلاة، وأنكروا فرض الزكاة، ووجوب أدائها إلى الإمام، وعادوا إلى ما كانوا عليه في الجاهلية، كما لا يخفى ذلك على دارس سيرة الصديق رضي الله عنه، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر بعده، وكفر من كفر من العرب، قال عمر بن الخطاب لأبي بكر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله، فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله تعالى، فقال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه، فقال عمر بن الخطاب: فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق". [١]

لماذا قاتل الخليفة الأول الراشد سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه؟ ومن قاتله؟ قال — رضي الله عنه — مانع الزكاة على منعها، قاتل منكر فرض الزكاة، قاتل من فرّق بين الصلاة والزكاة، وكان رضي الله عنه يعرف جيدا أن الإسلام لا يبقى بدون الزكاة، وأن الناس إذا أنكروا فرض الزكاة، وامتنعوا عن أدائها هدموا إحدى أركان الإسلام الخمسة، ولذلك عزم رضي الله عنه على القتال ضد هؤلاء البغاة متوكلا على الله تعالى، وقد وردت الأحاديث الصحيحة بفضل الإنفاق وكراهية الإمساك منها ما يلي:

أ— عن أبي هريرة — رضي الله عنه — قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد" الحديث. [٢]

ب— وعن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما من صاحب إبل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي حقها إلا أقعد لها يوم القيامة بقاع قرقر تطؤه ذات الظلف بظلفها، وتنطحه ذات القرن بقرنها" الحديث. [٣]

---

[١] كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله.. إلخ.

[٢] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة.

[٣] رواه مسلم، كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة.

ج—وعن الأحنف بن قيس قال: قدمت المدينة، فبينا أنا في حلقة، فيها ملأ من قريش، إذ جاء رجل أخشن الثياب أخشن الجسد، أخشن الوجه، فقام عليهم، فقال: بشر الكانزين برضف يحمى عليه في نار جهنم، فيوضع على حلمة ثدي أحدهم حتى يخرج من نغض كتفيه، ويوضع على نغض كتفيه حتى يخرج من حلمة ثدييه يتزلزل" الحديث. [١]

د—وعن أبي هريرة—رضي الله عنه—يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال الله تبارك وتعالى: يا ابن آدم أنفق أنفق عليك" الحديث. [٢]

وعنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقا خلفا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكا تلفا". [٣]

ر—وعن عدي بن حاتم قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "من استطاع منكم أن يستتر من النار ولو بشق تمرة فليفعل". [٤]

ز—وعن أبي هريرة—رضي الله عنه—قال: ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل البخيل والمتصدق كمثل رجلين عليهما جنتان من حديد قد اضطرت أيديهما إلى ثدييهما وتراقيهما، فجعل المتصدق كلما تصدق بصدقة انبسطت عنه حتى تغشى أنامله وتعفو أثره، وجعل البخيل كلما هم بصدقة قلصت وأخذت كل حلقة مكانها، قال: فأنا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بإصبعه في جيبه فلو رأيته يوسعها فلا توسع". [٥]

س—وعنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من أنفق زوجين في سبيل الله نودي في الجنة يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، قال أبو بكر الصديق: يا رسول الله! ما على أحد يدعى من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم، وأرجو أن تكون منهم". [٦]

ص—وعن أبي هريرة—رضي الله عنه—يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما تصدق أحد بصدقة من طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب إلا أخذها الرحمن بيمينه، وإن كانت تمرة فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل، كما يربي أحدكم فلوّه أو فصيله". [٧]

---

[١] رواه مسلم، كتاب الزكاة، باب تغليظ عقوبة من لا يؤدي الزكاة.
[٢] رواه مسلم، كتاب الزكاة، باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالحلف.
[٣] رواه مسلم، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف.
[٤] رواه مسلم، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة.. إلخ.
[٥] رواه مسلم، كتاب الزكاة، باب مثل المنفق والبخيل.
[٦] رواه مسلم، كتاب الزكاة، باب فضل من ضم إلى الصدقة غيرها من أنواع البر.
[٧] رواه مسلم، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف.

هذا! وقد وردت الأحاديث الصحيحة الكثيرة في فضل الإنفاق وكراهية الإمساك عدا ما ذكر أعلاه، تركتها مخافة الطول.

ظهر مما سبق من نصوص الكتاب والسنة جليا أن الزكاة لها مكانة سامية ومنزلة عالية في الدين الحنيف، كما بان أن المنفق له فضل كبير، وأجر عظيم عند الله تعالى، وأن الممسك له خسارة وندامة، وعقوبة يوم القيامة.

فعلى المسلم أن ينفق في سبيل الله مما رزقه الله تعالى من النقود والزروع والثمار والمواشي.

وبعد الانتهاء من ذكر أهمية الزكاة في الإسلام نبدأ بذكر آداب الزكاة وسننها –بتوفيق الله تعالى وعونه-:

سن الإسلام آدابا وسننا تتعلق بالزكاة أوجزها فيما يلي:

١– ينبغي للمنفق أن يقصد بالإنفاق رضى ربه والفوز بقربه لا أن يقصد به محمدة الناس ومدحهم، قال الله تعالى: {ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين، فإن لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير}. [١]

وقال تعالى: {وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله} الآية. [٢]

٢– لا ينبغي للمنفق أن يبطل صدقته بالمن والأذى، قال الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى} الآية. [٣]

٣– وأن يقصد في النفقة الطيب الذي يحبه لنفسه، ولا يتيمم الرديء، الذي لا يرغبه، وإلى ذلك أرشد الرب سبحانه وتعالى بقوله: {أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض، ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه} الآية. [٤]

٤– يحسن بالمرء أن ينفق من أمواله النفيسة، التي تحبها نفسه، وإلى ذلك أشار الرب سبحانه وتعالى بقوله: {لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون} الآية. [٥]

---

[١] البقرة: ٢٦٥.
[٢] البقرة: ٢٧٢.
[٣] البقرة: ٢٦٤.
[٤] البقرة: ٢٦٧.
[٥] آل عمران: ٩٢.

٥- ومن الأدب أن يختار المرء طريق الاقتصاد في الإنفاق، فلا يمسك ولا يبخل، وينفق فيما لا ينبغي، أو زيادة على ما ينبغي كما أشار الرب سبحانه وتعالى إلى ذلك بقوله: {ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك، ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا}.[١]

وقال تعالى: {والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما}.[٢]

٦- ويستحب للإمام وعامل الصدقة أن يدعو للمتصدق بالنماء والبركة في ماله، ويرجى أن يستجيب الله تعالى ذلك ولا يخيب مسألته، فعن عبد الله بن أبي أوفى قال: كان أبي من أصحاب الشجرة، وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتاه قوم بصدقتهم قال: "اللهم صل على آل فلان"، قال: فأتاه أبي بصدقته، فقال: "اللهم صل على آل أبي أوفى".[٣]

٧- ويحرم على الساعي أخذ كرائم المال في أداء الزكاة، بل يأخذ الوسط، ويحرم على رب المال إخراج شر المال، فعن ابن عباس أن معاذا قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إنك تأتي قوما من أهل الكتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم، فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم" الحديث.[٤]

٨- إن الزكاة لا تدفع إلى كافر، ولا تدفع أيضا إلى غني من نصيب الفقراء للحديث المذكور.

ومن استدل بهذا الحديث على أن الزكاة لا يجوز نقلها عن بلد المال لقوله صلى الله عليه وسلم: "فترد في فقرائهم" فليس هذا الاستدلال بظاهر كما يقول النووي: "واستدل به الخطابي وسائر أصحابنا على أن الزكاة لا يجوز نقلها عن بلد المال لقوله صلى الله عليه وسلم: "فترد في فقرائهم"، وهذا الاستدلال ليس بظاهر، لأن الضمير "في فقرائهم" محتمل لفقراء المسلمين، ولفقراء أهل تلك البلدة والناحية، وهذا الاحتمال أظهر.[٥]

(يتبع)

***

---

[١] بني اسرائيل: ٢٩.
[٢] الفرقان: ٦٧.
[٣] رواه أبو داود -٦، باب دعاء المصدق لأهل الصدقة (١٥٩٠) وصححه الألباني.
[٤] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام.
(٥) رجع شرح صحيح مسلم للنووي: ٣٧/١، طبع الهند.

شخصية إسلامية

أخي أبو يوسف – رحمه الله – (١٩٥٧–٢٠٠٤م) وإخاء ربع قرن

الشيخ صلاح الدين مقبول أحمد / الكويت

كان من أعز أمنياتي الدراسية منذ صغري أن أدرس في الجامعة الإسلامية بالمدينة الطيبة، وقد تحقق لي ذلك بفضل الله ومنه وكرمه. والتحقت بكلية الحديث الشريف والدراسات الإسلامية بالجامعة، لما كنت في السنة الرابعة من الكلية، التحق بها في السنة الأولى طالب من الكويت، مظهره كان ينمّ عن سلفيته عقيدة وعملا، ومنهجا وسلوكا، لأن الظاهر في الغالب يكون عنوان الباطن. هكذا رأيته وإلى الآن أحسبه كذلك، ولا أزكي على الله أحدا.

ولم يكن في الحسبان أبدا، بأني أذهب إلى الكويت فضلا عن أن أتعرف على هذا الطالب الجديد عن كثب، ثم أزامله نحو ربع قرن من الزمان في مجال الدعوة إلى الله تعالى.

وبعد تخرجي في الجامعة تم تعاقدي مع "دار الإفتاء بالسعودية" في مكتبها في باريس (فرنسا) بأمر من سماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز (المفتي العام بالمملكة العربية السعودية) – رحمه الله – ثم حصل تحويل تعييني من قبل إدارة الدعوة في الخارج إلى الهند على غير علم مني.

وأنا لم أكن أرغب في الذهاب إلى باريس، فاستلمت هوية التعاقد من الإدارة، وكنت على أهبة السفر إلى الهند، حتى جاءتني تأشيرة الدخول في الكويت التي أخرجها أخونا الفاضل عبدالكريم فرحان الشمري – حفظه الله – وذلك على طلب من أخينا الفاضل الدكتور فلاح ثاني السعيدي – حفظه الله –، رغبة منه في إقامتي في الكويت إن طابني المقام بها.

فدخلت الكويت وكأني في طريقي إلى الهند، فاستأنست بما رأيت من وحدة العقيدة والمنهج، وبما لمست من الإخوة من رغبة صادقة في بقائي معهم، مع كرم الضيافة وحسن المعاملة، والحفاوة البالغة، والخير من معدنه لا يستغرب. والجدير بالذكر أنهم كانوا على قلب رجل واحد، فبقيت في الكويت إلى الآن.

ولا أدري في أي أرض الله توفى بقية رزقي وأجلي: {...وما تدري نفس ماذا تكسب غدا، وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير} (لقمان: ٣٤).

فإن كنت لا تدري متى الموت فاعلمن بأنك لا تبقى إلى آخر الدهر، أسأل الله تعالى حسن الخاتمة في الحل والترحال.

هكذا وصلت إلى "مدينة الجهراء" سنة ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م، وتيسر اللقاء بيني وبين ذلك الطالب الجديد في الكلية، وتم التعارف الكامل، فعرفت أنه أبو يوسف عبد العزيز بن صالح الهده، من عائلة كريمة معروفة في الجهراء، واستمرّ الإخاء والتواصل. ثم رجع بعد تخرجه في الجامعة إلى بلده داعية قديرا، ومدرسا ناجحا، مصداقا لقوله تعالى: "فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون". (التوبة: ١٢٢)

من مهام وظائفه:

- انتظم بسلك التدريس في المرحلة الثانوية، واستمر بالتدرج الوظيفي حتى احتل منصب "الوكيل" ثم "الناظر" وحاز في جميع مراحله الوظيفية بإعجاب المسئولين وزملائه المدرسين، والطلبة وأولياء أمورهم على السواء، وهو يعدّ من أوائل من استخدموا الكمبيوتر في تطوير الأمور الإدارية، وتسهيلها على الناس.
- تولى الخطابة في مسجد العيار بالجهراء، وكان من أشهر الخطباء الذين كان يشار إليهم بالبنان. وكان يتميز بتناوله في خطبه مسائل وقضايا تهم المجتمع في عقيدته ودينه ودنياه مع الاهتمام بحماية جانب التوحيد، والرد على مظاهر الشرك والإلحاد بأنواعها. وكان يتفاعل في خطبه لأجل غيرته على عقيدته ودينه مع الأحداث —محلية كانت أو دولية-، وكان له جمهور كبير، يتابعونه في خطبه ومحاضراته.
- برز في مجال إلقاء الدروس والمحاضرات في الملتقيات والندوات بكل جدارة وثقة، وكان له حضور دائم مع توجيه هادف عند كل حدث من الأحداث، وترك بصمة واضحة في مجال الدعوة إلى الله، وله فضل لا ينسى في إرشاد الشباب إلى النافع المفيد من الأقوال والأفعال: "وإن سكتوا أثنت عليك الحقائب".
- باشر وظيفة "التمليك" وعقد القرآن الرسمية بكل فرح وسرور وحتى لا يكون بمنأى عن الأمور الاجتماعية، التي تستثمر لصالح الدعوة إلى الله.

- كانت له مشاركة فعالة في كتابة المقالات الصحفية الهادفة، التي اتسمت بإرشاد القراء إلى الأصلح والأنفع في الأمور الدينية والدنيوية بكل صراحة وصرامة، وصارت وسيلة خير لإنجاز كثير من معاملات الناس المعلقة في الدوائر الرسمية، وغيرها.
- باشر رئاسة الهيئة الإدارية بجمعية إحياء التراث –فرع الجهراء- ، بعد أخينا المفضال الشيخ حمد صالح الأمير – حفظه الله - ، فكان الفرع وتطويره شغله الشاغل. وللتركيز على الناحية الدعوية، والارتقاء بها إلى المستوى المطلوب كان نفسه يشرف على "لجنة الدعوة والإرشاد" التابعة للفرع.

ولا ريب أن أعمال هذه اللجنة توسعت ، حتى شملت فيما بعد أقساما كثيرة. منها: المعهد الشرعي –قسم الدعوة وشئون المساجد، قسم إقامة المحاضرات والدروس –قسم الإصدارات –مشروع المكتبة والمخطوطات –قسم توعية الجاليات –قسم المتلقيات والمخيمات الربيعية –قسم الإرشيف الصحفي.

وقد كتب أبو يوسف – رحمه الله –كلمة لجنة الدعوة والإرشاد حين صدور كتيبات الأسرة المسلمة سنة ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، قال فيها:

"الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والذي بفضله تمكنا أن نواصل المسيرة مع الخيرين من هذا البلد في استكمال مشروع كتيبات الأسرة المسلمة الذي ما زلنا معه في جديد، منذ أن بدأناه قبل ست سنوات، في هذه اللجنة المباركة القائمة على الدعوة في سبيل الله داخل هذا البلد، ثم ذكر محتويات هذا الإصدار فقال: وبهذا حوى هذا الإصدار من كتيبات الأسرة المسلمة شيئا من العبارات، وآخر في العقائد وتصحيح المنهج، وآخر للنساء وطلبة العلم، وآخر للكبار وأخيرا للأطفال. هذا وأسأل الله أن يجعل عملنا خالصا لوجهه، وأن يجعل خير أيامنا يوم نلقاه، "رئيس لجنة الدعوة والإرشاد: عبد العزيز صالح الهده".

اللهم تقبل يا سميع الدعاء. ويرحم الله عبدا قال آمينا.

من أعماله العلمية:

كان أبو يوسف – رحمه الله – مولعا بشراء الكتب، وجمع المخطوطات من زمن الطلب، حتى كوّن مكتبة علمية عامرة، ليستفيد منها في مجال البحث والتحقيق، والتصنيف والتأليف، ولكن أراد الله له شيئا آخر، فعرف بحكم وظائفه وأعماله مدرسا ناجحا، وإداريا

محنكا، وخطيبا بارزا، وصحفيا قديرا، وداعية محظوظا، فلم يكن عنده بعد مباشرة هذه الأعمال وقت كاف للتأليف والتصنيف، وكم يشكو من قلة الوقت وكثرة الأشغال، ولكنه أجاد فيما كتب، ولو أولى اهتمامه بجانب التأليف لأتقنه، مثل غيره من أعماله، ورسائله وكتيباته تشهد على ذلك، وهي مع قلتها، في غاية الجودة والتأثير، منها:

- تيسير السلام في شرح أركان الإسلام.
- خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم.
- فتاوى رمضانية.
- رسالة في حكم الغناء في الإسلام.
- الطلاق بين جهل الجاهلين واستهتار اللاعبين، وغيرها من الرسائل المفيدة والبحوث النافعة والمقالات الصحفية.

هذا وإن تجمع مقالاته وخطبه، ومحاضراته وفتاواه تبلغ مجلدات.

وكان – رحمه الله – لإعجابه الكبير بكتاب "جامع البيان في تفسير القرآن" للإيجي الشافعي وخاصة بالتعليقات عليه – اقترح عليّ أن نشارك في تحقيقه وتصحيحه، ولكن تأخرنا في بدأ المشروع، وحالت منيته دون ذلك.

ثم قمت بعد وفاته بتحقيقه وتصحيحه على طلب من أخينا الفاضل نجم سهيل الشمري "صاحب دار غراس"، وهو مطبوع متداول – بل في طور الطبعة الثانية – الآن، لكثرة الطلب عليه، وتحقق لي أنه كان لإعجاب الشيخ به معنى كبير، وكذلك تحققت أمنيته أيضا. فجزاه الله خير ما يجازي به عباده الصالحين.

من تلامذته:

جل الإخوة والشباب العاملين في سلك التدريس، وأئمة المساجد وخطبائها من أهل الجهراء، بل كلهم إما درسوا عليه في المدارس، أو استفادوا من دروسه في الحلقات، فهو توفي – رحمه الله – وكان أستاذ الأساتذة حقا.

من زملائه:

من أبرز زملائه في مجال الدعوة والتدريس في الجهراء، الذين لهم حضور دائم في الملتقيات والندوات والدروس والمحاضرات، الشيخ حمد صالح الأمير والدكتور فلاح

ثاني السعيدي، والشيخ سعيد عماش السعيدي – حفظهم الله ورعاهم، ومتعنا بطول حياتهم مع الصحة والعافية.

نبذة عن مميزاته وصفاته وآدابه ومواقفه:

كان أبو يوسف – رحمه الله – يتمتع بشخصية متعددة الجوانب، تميزت بأمور، منها:

- لم يكن يرضى بمنهج السلف في العقيدة والشريعة، والتعليم والتربية، والإفتاء والإفادة بديلا، ولم يكن يتناول في "مادة الفقه" عن تدريس " فقه السنة والحديث والأثر" في المعهد الشرعي إلى فقه المذاهب.
- كانت عقليته تساير الركب الحضاري المعاصر في تحديث الأمور الإدارية وتطويرها، وهو من أوائل إخوتنا الذين استخدموا الكمبيوتر والإنترنت والبروجكتر وغيرها من الوسائل الحديثة في التدريس والإفادة، وإعداد الخطب والمحاضرات، وإنجاز الأمور الإدارية وغيرها، فلله دره!
- وأقام دورات عديدة لتدريب الشباب على استخدام هذه الوسائل الحديثة واستعمالها في النافع والمفيد في الأمور.
- ومن الطرائف أنه درّبني يوما واحدا على استخدام الكمبيوتر، ثم عاد ليعلمني بعد خمس سنوات أو أكثر. فقلت له: استعجلت، فقال: لما رأيت فيك من الجدية وصدق الطلب، - رحمه الله رحمة واسعة -.
- كان واسع الثقافة والمعرفة حتى في غير مجال تخصصه، فإنه استحدث موقعا متميزا على الشبكة العنكبوتية للفتاوى وتبادل المعلومات باسم "منتدى الفتاوى الشرعية"، دلت على نجاحه كثرة الواردين إليه من شتى أنحاء العالم.

وزد على ذلك أنه كان عنده إلمام جيد بالطب الشعبي، وباشر الحجامة بنفسه أحيانا.

- كان عطوفا رحيما بالشباب، يشاركهم في أفراحهم وأحزانهم، ويوفر لهم وسائل النقل للحضور في دروس المعهد الشرعي والدواوين، وخاصة للإخوة الذين كانوا يحتاجون إلى مثل هذه الرعاية والاهتمام.

- كان ذا شخصية قوية مع هيبة ووقار، يباشر الأمور بعزم، ويتدخل في حل المشكلات بحزم، صريحا في تعامله مع زملائه وطلبته من غير مجاملة، يواجههم بكل ما عنده من الدليل والبرهان عند الخلاف، وخاصة عندما حصلت الفرقة بين الاخوة بعد الغزو، واختلط الحابل بالنابل، فتكلم حين سكت الكثيرون، فاستهدف أكثر من غيره لصراحته المعهودة.

وفي السماء نجوم لا عداد لها   وليس يكسف إلا الشمس والقمر

نعم: كان أبو يوسف – رحمه الله – رجلا من الناس، يأخذ ويعطي، ويصيب ويخطئ:

من ذا الذي ما ساء قط   ومن له الحسنى فقط

ولكن أين مثله؟ لم يكن يوما من الأيام معروفا بالفجور في الخصومة، بل كان في أغلب أحواله مظلوما من قبل تلاميذه وأحبائه.

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة   على المرأ من وقع الحسام المهند

- خلق أبو يوسف – رحمه الله – للعمل في مجال الدعوة، "كل ميسّر لما خلق له" وبروزه في هذا المجال يدل على أنه لم يخلق لغيره، وإلا ما الذي كان مانعا ممن مباشرته "التجارة" أسوة بأفراد عائلته؟ فهنيئا له هذه الوظيفة التي قام بها الأنبياء والرسل، وأصحابهم، ومن تبعهم من صالحي الأمة إلى يوم الدين.
- الشخصية القوية سمة من سمات التميز في كل مجال من مجالات الحياة البشرية، ويظهر معدنها في أبهى صورة عند المحن والشدائد، ولم تمر الكويت – حرسها الله – بمحنة أشد من محنة الغزو العراقي الغاشم لها.

فكان أبو يوسف وغيره من زملائه البارزين مثل الشيخ حمد الأمير، لم يخرجوا من الكويت، لعلهم تأولوا حتى لا يقعوا في وعيد "الفرار يوم الزحف"، الذي هو من أكبر الكبائر في الإسلام، وكانوا من الصامدين في وجه الاحتلال، المعاونين للأهالي نصحا وإرشادا، وتغذية وتموينا. وكان قيام هذين الشيخين الجليلين مع زملائهما: مثل الإخوة الأفاضل علي دخيل العنزي، وجابر جعيثن الشمري – بتشكيل لجنة لإدارة الجمعية التعاونية الرئيسية بالجهراء، وتوصيل المواد التموينية إلى بيوت الأهالي، لئلا يصابوا بأذى هؤلاء الوحوش، كان – ولا شك – عملا بطوليا جليلا لا يحتاج إلى دليل:

أولئک آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

- كان يتمتع بعلاقات واسعة بكل فئات المجتمع مع نيله بثقتهم، لما كان فيه من إخلاص ودين، وحب ومودة، وصدق ونزاهة، وخلق وأدب. زرع له المحبة في قلوب العباد، وقد رئي بعض مشاهدها في جنازته المشهودة.

من إرهاصات وداعه للدنيا:

كان هناک إرهاصات لوداعه للدنيا، فقد تخلى عن رئاسة الهيئة الإدارية بجمعية إحياء التراث الإسلامي بفرع الجهراء، قبل وفاته بعدة أشهر، ووكل المسئوليات إلى هيئة جديدة شملت كوكبة من الشباب الصاعد معروفة بالعقيدة والدين والخلق والأدب، وذلک تحت رئاسة أخينا الفاضل الدكتور فرحان عبيد الشمري –كثر الله في شباب الأمة من أمثالهم-.

ولا ريب أنه كان موفقا في هذا الاختيار، ومطمئنا به، وكان يحضر الفرع يوميا بعد ذلک، ويراقبه عن كثب، ثم بدأ يزوره غبا، وهكذا... سألته ذات مرة –وقد صعب عليّ غيابه لعدة أيام– عن هذا الجفاء فقال: "أريد فک الارتباط" –رحمه الله رحمة واسعة-.

وفاته:

كنا جلوسا بعد العصر في جمعية إحياء التراث الإسلامي –فرع الجهراء– وكنت حينذاک على أهبة النزول إلى الهند في اليوم التالي –فقال الشيخ: نذهب نهنئ فضيلة الشيخ محمد الحمود النجدي –حفظه الله– على زواجه الجديد، فاتجهنا إلى منطقة صباح الناصر بسيارة أخينا الفاضل الشيخ مشعل تركي –وفقه الله لكل خير– لما رجعنا إلى الجهراء نزلت عند السكن بجوار مسجد عبد الله خلف السعيد، وكان الشيخ من طيبه يودّعني بحرارة ويستقبلني بحرارة، ولكنه هذه المرة نزل وودّعني بحرارة زائدة غير معهودة قائلا: "سامحني وسلم على الأهل".

لم يكن على البال قطعا أنه توديع منه حقيقي لا لقاء بعده أبدا في دار الدنيا، لو علمت لقلت له:

لا تستعجل، نحن في أشد الحاجة إليک، ولكن: "إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون". (نوح:٤)

عاش الشيخ حياة مترامية الأطراف، متعددة الجوانب ، نابضة بالحيوية والنشاط، حافلة بالعطاء الفياض في مجال الدعوة والإرشاد، والتدريس والإفتاء، والذود عن حياض الكتاب والسنة، والدفاع عن منهج السلف الصالح، حتى وافاه الأجل المحتوم في بيته في الجهراء (فجر الخميس ٢٣ شعبان ١٤٢٥ هـ الموافق ٧ / أكتوبر ٢٠٠٤ م) وعمره نحو ثماني وأربعين سنة، ودفن بعد صلاة العصر في مقبرة الجهراء، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وكانت في حياتك لي عظات وأنت اليوم أوعظ منك حيا

ولا يسعنا إلا أن نقول عند هذا المصاب الجلل، ما قاله نبينا محمد صلى الله عليه وسلم عند وفاة ابنه ابراهيم: "إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا. وإنا على فراقك لمحزونون".

جنازته:

كانت جنازته حافلة مشهودة، لم ير مثلها، بشهادة المواطنين والمقيمين من كبار السن، توارد إليها الناس من كل حدب وصوب، حتى توقفت حركة المرور في الشارع المؤدي إلى المقبرة، لكثرة الازدحام الممتد إلى مسافة بعيدة.

صدق قول الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله – في مثل هذا المشهد:

"الفرق بيننا وبين أهل البدع يوم الجنائز".

هكذا أفل هذا الكوكب النير، وفي مثله قيل:

ما كنت أحسب قبل دفنك في الثرى أن الكواكب في التراب تغور

ما كنت آمل قبل نعشك أن أرى رضوى على أيدي الرجال تسير

هكذا رحل إلى الدار الآخرة، تاركا وراءه جما غفيرا من زملائه وتلامذته وأولاده وأقاربه وغيرهم من أحبائه ، داعين له ومستغفرين، وراجين أن يصدق عليه ما رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال:

"إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة:

- إلا من صدقة جارية
- أو علم ينتفع به
- أو ولد صالح يدعو له.

اللهم اغفر له وارحمه، وعافه واعف عنه، وأكرم نزله ووسع مدخله.

***

اللغة والأدب

القصيد الوافي مع الشرح الكافي

صاحب القصيد: العالم النحرير ذو الفضل الغزير
فضيلة الشيخ أبو القاسم محمد القدسي [*]

صاحب الشرح: حفيده/الدكتور محمد عمران الأعظمي
مصحح دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد

يكم صفر ١٣٦١هـ [١] ازكوچين (مليبار)

من [٢] القدسي [٣] بقيع [٤] الخندمان [٥] بقُفّ [٦] جزيرة كـ "الأندمان" [٧]
إلى الـولـد العـزيز الغرطـمـاني [٨] ذكي الطبـع ذي الشيم [٩] الحسان
يسـمـى العـبـد للـقـيـوم، أيضـا لـه اسـم الكـوثر [١٠] اسم منه ثاني
[١١] أطال الله عمـر كـ نور [١٢] عيني وزوّدك التقى في الامتحـان [١٣]
أتـــانـي منـك مكتـــوب نفيـس جميـــل الخـــط عـربي اللســان
فـنـضّـرنـي وبشّـــرنـي ببنت [١٤] لفاطمـــة ابنتي ذات المـكان [١٥]

---

[*] هو الشيخ أبو القاسم محمد علي المقدسي ابن عبد الرحمن بن جمال الدين، أحد علماء مئونات بنجن (م١٣٧٣هـ) من تلامذة المحدث عبد الرحمن المباركفوري مؤلف تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي. (المجلة)

[١] التاريخ الموافق مذكور بظهر البطاقة وهو ١٥/فبراير: شباط ١٩٤٢م يوم الثلاثاء.

[٢] وكان جدي متبعا للسنة إذ أنه ذكر أولا اسم المرسل كعادة سليمان عليه السلام ونبينا صلى الله عليه وسلم.

[٣] سكّنه جدي للضرورة الشعرية.

[٤] الكلمة مخبوطة ولكن الوزن يقتضي أنه "بقيع" من القيعة المذكورة في القرآن الكريم "كشراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء".

[٥] الخندمان هو اسم قبيلة –كما في اللسان.

[٦] بضم القاف وهو ما ارتفع من الأرض.

[٧] جزيرة مشهورة مندرجة في ثبت البريد الهندي.

[٨] وهو الفتى الحسن، وأصله في الخيل كما في اللسان وتاج العروس، وأهمله الجوهري.

[٩] جمع الشيمة وهي الخصلة.

[١٠] كان أبي شاعرا، يمارس الشعر بهذا الاسم المنعوت به.

[١١] من هنا التفات إلى أبي رحمه الله.

[١٢] أي يا نور عيني.

[١٣] بقطع الألف وهو جائز في الشعر.

[١٤] ولعل هذا البنت إنما كانت "زهراء بيقم" ولا تزال على قيد الحياة وهي تحبني حبا كبيرا.

[١٥] أكبر بناته، ولقد تم زواجها مع الشيخ عبد اللطيف النعماني، مدير جامعة مفتاح العلوم، وعضو في البرلمان الهندي، وهو الذي خطب خطبة الزواج لدى قراني مع صفية بيقم بنت الحكيم محمد حميد الدين الايلوري، ولعل زواج فاطمة مع عبد اللطيف كان أول من نوعه، إذ أن جدي كان متزمتا في السلفية، وصهره كان مناظر اللحنفية، وهذا الزواج المبروك إنما أزاح التنافر المسلكي، وانقضب هذا المسلسل الفاتن.

فيـــابشـــرى لنـــا ولو الديـــهـــا وأهــل قــرابــة والخنــدمــان
أدام الله مــحــيــاهـــابخـــيـــر وأنبـتـهـا[١٦] نبـاتـا ذا تهاني[١٧]
وآمـن أمــهـــامـــن كل كـــرب وصــانــهـــما[١٨] من آفات الزمان
ولا يخفـاك[١٩] أن أناس بلدي[٢٠] قـــد اختـــاروا الفرار من المكان
أنا أسكنـــت أيضـــا أهـــل داري بمـــدلاگم[٢١] لتسكين الجنان
وليس هنـــامـــن الأحباب أحد أنـــا وحـــدي مقيـــم في المكان
وليـــس اليـــوم دار دار أمـــــن هـــو الرحمـــن بيـــــده[٢٢] أماني
لأن الحـــرب نـــار ذات لهـب تجـول على التباعد والتداني[٢٣]
وإنـــي لســـت أقـــدر فـوق هذا على[٢٤] التحرير في تلك المعاني
دعـــائي أن تـدوموا في سلام[٢٥] مـــن الآفـــات في هـــذا الزمان
سلامي[٢٦]–بلّغوا عني–[٢٧] على من لديـكـم والسـلام مـع الأماني

ولا يكون رأيان في أن هذه القصيدة تأتي كبرهان ساطع على امتلاك جدي من الاقتدار على صوغ الكلام العربي صياغة حسنة، ومن ملاحظاتي أن خطه جميل وأن أبي الحافظ / عبدالقيوم الأعظمي العمري "لقد نسج على منواله" في تحسين الخط، وفي هذا المنعطف، لا أجد مندوحة من أن أنبس ببنت شفتي هذا الشعر العربي الذي يضرب به المثل:

أولئك آبائي فجئني بمثـلهـم
إذا جمعتك يا جرير المجامع

***

[١٦] مقتبس من القرآن الكريم سورة آل عمران "وأنبتها نباتا حسنا".
[١٧] بتخفيف الهمزة.
[١٨] والضمير يرجع إلى فاطمة ومولودتها الحديثة.
[١٩] الأصل: لا يخفى عليك، منصوب بنزع الخافض.
[٢٠] يبدو كأنه "بلدتي" وكذلك دأبه في الكتابة، كما يبدو نفس الشيء في البيت التالي في "داري".
[٢١] وهو الموضع الذي استوطنه.
[٢٢] في الشعر زحاف، ولذهب إذا قلنا "في يده".
[٢٣] وفي هاتين الكلمتين دليل ساطع على رسوخ قدم جدي في اللغة.
[٢٤] مرتبط بـ"يقدر".
[٢٥] وهذا الصدر استغرق ساعات في الوصول إلى الواقع.
[٢٦] هذه جملة معترضة.
[٢٧] هذه جملة معترضة.

حلية طالب العلم

آداب الطالب في نفسه

(٢) الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد

١٠- هجر الترفه:

لا تسترسل في "التنعم والرفاهية"، فإن البذاذة من الإيمان، وخذ بوصية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في كتابه المشهور، وفيه "وإياكم والتنعم، وزي العجم، وتمعددوا، واخشوشنوا...." رواه ابن الجعد[1].

وعليه: فازورَّ عن زيف الحضارة، فإنه يؤنث الطباع، ويرخي الأعصاب، ويقيدك بخيط الأوهام، ويصل المجدون لغاياتهم وأنت لم تبرح مكانك، مشغول بالتأنق في ملبسك، وإن كان منها شيات ليست محرمة ولا مكروهة، لكن ليست سمتا صالحا، والحلية في الظاهر كاللباس عنوان على انتماء الشخص، بل تحديد له، وهل اللباس إلا وسيلة من وسائل التعبير عن الذات فكن حذرا في لباسك، لأنه يعبر لغيرك عن تقويمك في الانتماء والتكوين، والذوق، ولهذا قيل: الحلية في الظاهر تدل على ميل في الباطن، والناس يصنفونك من لباسك، بل إن كيفية اللبس تعطي للناظر تصنيف اللابس من:

الرصانة والتعقل.

أو التمشيخ والرهبنة.

أو التصابي وحب الظهور.

فخذ من اللباس ما يزينك ولا يشينك، ولا يجعل فيك مقالا لقائل، ولا لمزا للامز، وإذا تلاقى ملبسك وكيفية لبسك بما يلتقي مع شرف ما تحمله من العلم الشرعي كان أدعى لتعظيمك والانتفاع بعلمك، بل بحسن نيتك يكون قربة، لأنه وسيلة إلى هداية الخلق للحق.

وفي المأثور عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه[2]:

(أحب إلي أن أنظر القارئ، أبيض الثياب) أي (ليعظم في نفوس الناس، فيعظم في نفوسهم ما لديه من الحق).

---

[1] مسند علي بن الجعد ١/٥١٧ رقم ١٠٣٠ وعنه: الفروسية لابن القيم ص٩، وأدب الإملاء والاستملاء ص١١٨، وأصله في الصحيحين وغيرهما.

[2] الإحكام للقرافي ص٢٧١.

والناس كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى كأسراب القطا مجبولون على تشبه بعضهم ببعض.[١]

فإياك ثم إياك من لباس التصابي، أما اللباس الإفرنجي فغير خاف عليك حكمه، وليس معنى هذا أن تأتي بلباس مشوه، لكنه الاقتصاد في اللباس برسم الشرع، تحفه بالسمت الصالح والهدي الحسن.

وتطلُّب دلائل ذلك في كتب السنة والرقاق، لاسيما في "الجامع" للخطيب[٢]. ولا تستنكر هذه الإشارة، فما زال أهل العلم ينبهون على هذا في كتب الرقاق والآداب واللباس[٣] والله أعلم.

١١–الإعراض عن مجالس اللغو:

لا تطأ بساط من يغشون في ناديهم المنكر، ويهتكون أستار الأدب، متغابيا عن ذلك، فإن فعلت ذلك فإن جنايتك على العلم وأهله عظيمة.

١٢–الإعراض عن الهيشات:

التصوُّن من اللغط والهيشات، فإن الغلط تحت اللغط، وهذا ينافي أدب الطلب.

ومن لطيف ما يستحضر هنا ما ذكره صاحب "الوسيط في أدباء شنقيط" وعنه في "معجم المعاجم": أنه وقع نزاع بين قبيلتين، فسعت بينهما قبيلة أخرى في الصلح فتراضوا بحكم الشرع، وحكموا عالما، فاستظهر قتل أربعة من قبيلة بأربعة قتلوا من القبيلة الأخرى، فقال الشيخ/باب بن أحمد: مثل هذا لا قصاص فيه، فقال القاضي: إن هذا لا يوجد في كتاب، فقال: بل لم يخل منه كتاب، فقال القاضي: هذا القاموس – يعني أنه يدخل في عموم كتاب، فتناول صاحب الترجمة "القاموس"، وأول ماوقع نظره عليه: "والهيشة الفتنة وأم حبين، وليس في الهيشات قود" أي في القتيل في الفتنة لا يدرى قاتله، فتعجب الناس من مثل هذا الاستحضار في ذلك الموقف الحرج اهـ ملخصا.

١٣–التحلي بالرفق:

التزم الرفق في القول، مجتنبا الكلمة الجافية، فإن الخطاب الليّن يتألف النفوس الناشزة، وأدلة الكتاب والسنة في هذا متكاثرة.

---

[١] مجموع الفتاوى ٢٨/١٥٠.

[٢] الجامع ١/١٥٣–١٥٥.

[٣] أدب الإملاء والاستملاء ص ١١٦–١١٩، اقتفاء الصراط المستقيم، مجموع الفتاوى ٢١/٥٣٩ وانظر الروح لابن القيم ص ٤٠ في آخر المسألة الخامسة: بيان مشاكلة الروح للبدن.

١٤—التأمل:

التحلي بالتأمل، فإن من تأمل أدرك، وقيل: "تأمل تدرك"، وعليه: فتأمل عند التكلم بماذا تتكلم وما هي عائدته، وتحرّز في العبارة والأداء دون تعنت أو تحذلق، وتأمل عند المذاكرة كيف تختار القالب المناسب للمعنى المراد، وتأمل عند سؤال السائل كيف تتفهم السؤال على وجه حتى لا يحتمل وجهين، وهكذا.

١٥—الثبات والتثبت:

تحل بالثبات والتثبت، لاسيما في الملمات والمهمات، ومنه: الصبر والثبات في التلقي، وطي الساعات في الطلب على الأشياخ، فإن "من ثبت نبت".

كيفية الطلب والتلقي

١٦—كيفية الطلب ومراتبه:

(من لم يتقن الأصول حرم الوصول) [1]، و"من رام العلم جملة ذهب عنه جملة" [2]، وقيل أيضا "ازدحام العلم في السمع مضلة الفهم" [3] وعليه: فلا بد من التأصيل والتأسيس لكل فن تطلبه بضبط أصله ومختصره على شيخ متقن لا بالتحصيل الذاتي، آخذا الطلب بالتدرج، قال الله تعالى: {وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا} وقال تعالى: {وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا}. وقال تعالى: {الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته}.

فأمامك أمور لا بد من مراعاتها في كل فن تطلبه:

١—حفظ مختصر فيه.

٢—ضبطه على شيخ متقن.

٣—عدم الاشتغال بالمطولات وتفاريق المصنفات قبل الضبط والإتقان لأصله.

٤—لا تنتقل من مختصر إلى آخر بلا موجب، فهذا من باب الضجر.

٥—اقتناص الفوائد والضوابط العلمية.

٦— جمع النفس للطلب والترقي فيه، والاهتمام والتحرق للتحصيل والبلوغ إلى ما فوقه حتى تفيض إلى المطولات بسابلة موثقة.

---

[1] تذكرة السامع والمتكلم ص١٤٤.

[2] فضل العلم لأرسلان ص١٤٤.

[3] شرح الإحياء ٣٣٤/١.

وكان من رأي ابن العربي المالكي [1] أن لا يخلط الطالب في التعليم بين علمين، وأن يقدم تعليم العربية والشعر والحساب، ثم ينتقل منه إلى القرآن ، لكن تعقبه ابن خلدون بأن العوائد لا تساعد على هذا، وأن المقدم هو دراسة القرآن الكريم وحفظه، لأن الولد ما دام في الحجر ينقاد للحكم فإذا تجاوز البلوغ صعب جبره.

أما الخلط في التعليم بين علمين فأكثر فهذا يختلف باختلاف المتعلمين في الفهم والنشاط. وكان من أهل العلم من يدُرس الفقه الحنبلي في "زاد المستقنع" للمبتدئين، والمقنع لمن بعدهم للخلاف المذهبي ثم "المغني" للخلاف العالي، ولا يسمح للطبقة الأولى أن تجلس في درس الثانية وهكذا دفعا للتشويش.

واعلم أن ذكر المختصرات فالمطولات التي يؤسس عليها الطلب والتلقي لدى المشايخ تختلف غالبا من قطر إلى قطر باختلاف المذاهب، وما نشأ عليه علماء ذلك القطر من إتقان هذا المختصر والتمرس فيه دون غيره.

والحال هنا تختلف من طالب إلى آخر باختلاف القرائح والفهوم وقوة الاستعداد وضعفه، وبرودة الذهن وتوقده.

وقد كان الطلب في قطرنا بعد مرحلة الكتاتيب، والأخذ بحفظ القرآن الكريم، يمر بمراحل ثلاث لدى المشايخ في دروس المساجد، للمبتدئين، ثم المتوسطين، ثم المتمكنين.

ففي التوحيد: ثلاثة الأصول وأدلتها، والقواعد الأربع، ثم كشف الشبهات، ثم كتاب التوحيد. أربعتها للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى، هذا في توحيد العبادة، وفي توحيد الأسماء والصفات: العقيدة الواسطية، ثم الحموية، والتدمرية. ثلاثتها لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، فالطحاوية مع شرحها.

وفي النحو: الأجرومية، ثم ملحة الإعراب للحريري، ثم قطر الندى لابن هشام، وألفية ابن مالك مع شرحها لابن عقيل.

وفي الحديث: في الأربعين للنووي رحمه الله، ثم عمدة الأحكام، ثم بلوغ المرام لابن حجر رحمه الله تعالى، والمنتقى للمجد ابن تيمية رحمه الله تعالى، فالدخول في قراءة الأمهات الست وغيرها.

وفي المصطلح: نخبة الفكر لابن حجر، ثم ألفية العراقي رحمه الله تعالى.

---

[1] تراجم الرجال للخضر حسين ص ١٠٥، وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٣/٥٤—٥٥ مهم.

وفي الفقه مثلا: آداب المشي إلى الصلاة للشيخ محمد بن عبد الوهاب، ثم زاد المستقنع للحجاوي رحمه الله تعالى أو عمدة الفقه، ثم المقنع للخلاف المذهبي، فالمغني للخلاف العالي، ثلاثتها لابن قدامة رحمه الله تعالى.

وفي أصول الفقه: الورقات للجويني رحمه الله تعالى، ثم روضة الناظر لابن قدامة رحمه الله تعالى.

وفي الفرائض: الرحبية، ثم مع شروحها، والفوائد الجلية.

وفي التفسير: تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى.

وفي أصول التفسير: المقدمة لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

وفي السيرة النبوية: مختصرها للشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأصلها لابن هشام، وفي زاد المعاد لابن القيم رحمه الله تعالى.

وفي لسان العرب: العناية بأشعارها كالمعلقات السبع والقراءة في القاموس للفيروز آبادي رحمه الله تعالى.

وهكذا من مراحل الطلب في الفنون، وكانوا مع ذلك يأخذون بجرد المطولات، مثل: تاريخ ابن جرير، وابن كثير وتفسيرهما، ويركزون على كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله تعالى، وكتب أئمة الدعوة وفتاويهم لا سيما محرراتهم في الاعتقاد.

وهكذا كانت الأوقات عامرة في الطلب، ومجالس العلم، فبعد صلاة الفجر إلى ارتفاع الضحى، ثم تكون القيلولة قبيل صلاة الظهر، وفي أعقاب جميع الصلوات الخمس تعقد الدروس، وكانوا في أدب جم وتقدير بعزة نفس من الطرفين على منهج السلف الصالح رحمهم الله تعالى، ولذا أدركوا وصار منهم في عداد الأئمة في العلم جمع غفير، والحمد لله رب العالمين.

فهل من عودة إلى أصالة الطلب، في دراسة المختصرات المعتمدة، لا على المذكرات، وفي حفظها لا الاعتماد على الفهم فحسب، حتى ضاع الطلاب، فلا حفظ ولا فهم. وفي خلو التلقين من الزغل والشوائب والكدر، سير على منهاج السلف. والله المستعان.

وقال الحافظ عثمان بن خُرَّزاذ (م سنة ٢٨٢هـ) رحمه الله تعالى. [1]

---

[1] سير أعلام النبلاء ١٣/٣٨٠.

"يحتاج صاحب الحديث إلى خمس، فإن عَدِمَت واحدة، فهي نقص، يحتاج إلى عقل جيد، ودين، وضبط، وحذاقة بالصناعة مع أمانة تعرف منه". قلت: - أي قال الذهبي — الأمانة جزء من الدين، والضبط داخل في الحذق، فالذي يحتاج إليه الحافظ:

أن يكون ، تقيا، ذكيا، نحويا، لغويا، زكيا، حييا، سلفيا يكفيه أن يكتب بيديه مائتي مجلد، ويحصل من الدواوين المعتبرة خمس مائة مجلد، وأن لا يفتر من طلب العلم إلى الممات بنية خالصة، وتواضع، وإلا فلا يتعن) اهـ

١٧—تلقي العلم عن الأشياخ:

الأصل في الطلب أن يكون بطريق التلقين والتلقي عن الأساتيذ، والمثافنة للأشياخ، والأخذ من أفواه الرجال لا من الصحف وبطون الكتب، والأول من باب أخذ النسيب عن النسيب الناطق وهو المعلم أما الثاني عن الكتاب فهو جماد فأنى له اتصال النسب.

وقد قيل: "من دخل في العلم وحده خرج وحده" [١] أي من دخل في طلب العلم بلا شيخ خرج منه بلا علم، إذ العلم صنعة، وكل صنعة تحتاج إلى صانع، فلابد إذا لتعلمها من معلمها الحاذق.

وهذا يكاد يكون محل إجماع كلمة من أهل العلم إلا من شذ مثل: علي بن رضوان المصري الطبيب "م سنة ٤٥٣هـ"، وقد رد عليه علماء عصره ومن بعدهم. قال الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى في ترجمته له[٢]:

(ولم يكن له شيخ، بل اشتغل بالأخذ عن الكتب، وصنف كتابا في تحصيل الصناعة من الكتب، وأنها أوفق من المعلمين وهذا غلط) اهـ. وقد بسط الصفدي في "الوافي" الرد عليه وعنه الزبيدي في "شرح الإحياء" عن عدد من العلماء معللين له بعدة علل منها ما قاله ابن بطلان في الرد عليه: [٣]

(السادسة: يوجد في الكتاب أشياء تصد عن العلم وهي معدومة عند المعلم، وهي التصحيف العارض من اشتباه الحروف مع عدم اللفظ، والغلط بروغان البصر، وقلة الخبرة بالإعراب، أو فساد الموجود منه، وإصلاح الكتاب وكتابة ما لا يقرأ وقراءة ما لا يكتب، ومذهب صاحب الكتاب، وسقم النسخ، ورداءة النقل، وإدماج القارئ مواضع المقاطع،

---

[١] الجواهر والدرر للسخاوي ١/٥٨.

[٢] سير أعلام النبلاء ١٨/١٠٥ وانظر: شرح الإحياء ١/٦٦، وبغية الوعاة ١/١٣٦، ٢٨٦. وشذرات الذهب ٥/١١، الغنية للقاضي ص ١٦—١٧.

[٣] شرح الإحياء ١/٦٦.

وخلط مبادئ التعليم، وذكر ألفاظ مصطلح عليها في تلك الصناعة، وألفاظ يونانية لم يخرجها الناقل من اللغة كالنوروس، فهذه كلها معوقة عن العلم وقد استراح المتعلم من تكلفها عند قراءته على المعلم، وإذا كان الأمر على هذه الصورة فالقراءة على العلماء أجدى وأفضل من قراءة الإنسان لنفسه وهو ما أردنا بيانه .... قال الصفدي: ولهذا قال العلماء لا تأخذ العلم من صحفي ولا من مصحفي، يعني لا تقرأ القرآن على من قرأ من المصحف ولا الحديث وغيره على من أخذ ذلك من الصحف...) اهـ.

والدليل المادي القائم على بطلان نظرة ابن رضوان: أنك ترى آلاف التراجم والسير على اختلاف الأزمان ومر الأعصار وتنوع المعارف، مشحونة بتسمية الشيوخ والتلاميذ ومستقل من ذلك ومستكثر، وانظر شذرة من المكثرين عن الشيوخ حتى بلغ بعضهم الألوف كما في "العزاب" من "الإسفار" لراقمه.

وكان أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي "م سنة ٧٤٥هـ"[١] إذا ذكر عنده ابن مالك، يقول: أين شيوخه؟

(وقال الوليد[٢]: كان الأوزاعي يقول: كان هذا العلم كريما يتلاقاه الرجال بينهم، فلما دخل في الكتب، دخل فيه غير أهله، وروى مثلها ابن المبارك عن الأوزاعي.

ولا ريب أن الأخذ من الصحف وبالإجازة يقع فيه خلل ولاسيما في ذلك العصر، حيث لم يكن بعد نقط ولا شكل، فتتصحف الكلمة بما يحيل المعنى، ولا يقع مثل ذلك في الأخذ من أفواه الرجال، وكذلك التحديث من الحفظ يقع فيه الوهم، بخلاف الرواية من كتاب محرر) اهـ.

ولابن خلدون مبحث نفيس في هذا كما في "المقدمة"[٣] له ولبعضهم:

من لم يشافه عالما بأصوله ... فيقينه في المشكلات ظنون

وكان أبو حيان كثيرا ما ينشد:

يظن الغمر أن الكتب تهدي ... أخا فهم لإدراك العلوم
وما يدري الجهول بأن فيها ... غوامض حيرت عقل الفهيم
إذا رمت العلوم بغير شيخ ... ضللت عن الصراط المستقيم
وتلتبس الأمور عليك حتى ... تصير أضل من "توما الحكيم"

***

---

(١) مقدمة التحقيق لكتاب الغنية للقاضي عياض ص١٦-١٧.
(٢) السير ٧/١١٤.
(٣) ٤/١٢٤٥.

ركن الطلاب

آدم عليه السلام: شخصيته و آثاره

فريد أحمد خورشيد أحمد
السنة الأولى للفضيلة
الجامعة السلفية، بنارس

إن آدم أبو البشر و الإنسان الأول، خلقه الله من تراب و أسكنه الجنة و خلق حواء من آدم كما ذكر في القرآن أنه كان الإنسان الأول و أبا الأنبياء و ذكر خلقه غير مرة، و لما انتهى من خلقه أمر الله الملائكة بالسجود له فسجدوا جميعا، إلا إبليس الذي أبى و استكبر لأن الله خلقه من نار و خلق آدم من طين، و أخرجه الله من الجنة و استحق اللعنة إلى يوم الدين، و توعد بني آدم ليغوينهم أجمعين، و بدأ بإغواء آدم و حواء، فكان سببا لخروجهما من الجنة.

في يوم الجمعة خلق آدم و أسكن الجنة:

جاءت أحاديث كثيرة تدل على أن آدم خلق يوم الجمعة، فمنها: عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: "خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، و فيه أدخل الجنة و فيه أخرج منها، و لا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة". [1]

قال أبو جعفر: إن ابليس أخرج من الجنة بعد الاستكبار عن السجود لآدم، و أسكنها آدم قبل أن يهبط إبليس إلى الأرض، ألا تستمعون أن الله جل ثناؤه يقول: {وقلنا يا آدم اسكن أنت و زوجك الجنة و كلا منها رغدا حيث شئتما و لا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين، فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه} [2]، فقد تبين أن ابليس إنما أزلهما عن طاعة الله بعد أن لعن و أظهر التكبر، لأن سجود الملائكة لآدم كان بعد أن نفخ فيه الروح، و حينئذ كان امتناع إبليس من السجود له و عند الامتناع من ذلك حلت عليه اللعنة.

عن أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم: "فأخرج إبليس من الجنة حين لعن و أسكن آدم الجنة، فكان يمشي فيها و حشا ليس له زوج يسكن إليها، فنام نومة فاستيقظ، و إذا

---

[1] رواه الترمذي، كتاب الجمعة، باب فضل يوم الجمعة، رقم الحديث (٤٨٨) و صححه الألباني.
[2] البقرة: ٣٥، ٣٦.

عند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه، فسألها: من أنت؟ فقالت: امرأة، قال: ولم خلقت؟ قالت: تسكن إليّ، قالت له الملائكة ينظرون ما بلغ علمه: ما اسمها يا آدم؟ قال: حواء، قالوا: ولم سميت حواء؟ قال: لأنها خلقت من شيء حيّ. فقال الله له "يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما". فهذا الخبر ينبئ عن حواء خلقت بعد أن سكن آدم الجنة فجعلت له سكنا، وقال الآخرون: بل خلقت قبل أن يسكن آدم الجنة. (١)

آدم من تراب:

خلق الله آدم من تراب كما جاء في الحديث النبوي الشريف: عن أبي هريرة مرفوعا: "إن الله خلق آدم من تراب، فجعله طينا، ثم تركه حتى إذا كان حمأ مسنونا خلقه وصوره، ثم تركه حتى إذا كان صلصالا كالفخار كان إبليس يمر به فيقول: لقد خلقت لأمر عظيم، ثم نفخ الله فيه من روحه، وكان أول ما جرى فيه الروح بصره وخياشيمه، فعطس فقال: الحمد لله، فقال الله: يرحمك ربك". (٢)

وفي رواية "أمر الله تبارك وتعالى بتربة آدم، فرفعت فخلق آدم من طين لازب من حمإ مسنون، قال: وإنما كان حمأ مسنونا بعد التراب قال: فخلق منه آدم بيده قال: فمكث أربعين ليلة جسدا ملقى، فكان إبليس يأتيه فيضربه برجله فيصلصل فيصوت قال: فهو قول الله تبارك وتعالى: "من صلصال كالفخار" (٣) يقول: كالشيء المنفرج الذي ليس بمصمت. قال: ثم يدخل في فيه ويخرج من دبره ويدخل في دبره ويخرج من فيه، ثم يقول: ليست شيئا للصلصلة، ولشيء ما خلقت، ولئن سلطت عليك لأهلكنك، ولئن سلطت علي لأعصينك. (٤)

تسليم آدم على الملائكة:

لما خلق الله لآدم خلقا كاملا قال يا آدم! اذهب إلى الملائكة فسلّم عليهم كما جاء في الحديث عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح عطس، فقال: الحمد لله، فحمد الله بإذن الله، فقال له ربه يرحمك ربك يا آدم، اذهب

---

(١) تفسير الطبري ١/٢٦٢-٢٦٣.

(٢) مجمع الزوائد ٨/٣٦٣ (١٣٧٤٧)، الدر المنثور ١/٩٨.

(٣) الرحمن: ١٤.

(٤) تاريخ الطبري ١/٢٩.

إلى أولئک الملائكة –ملإ منهم جلوس –فسلم عليهم فقال: السلام عليكم، فقالوا: وعليكم السلام ورحمة الله، ثم رجع إلى ربه فقال هذه تحيتک وتحية بنيک وبينهم". [١]

طول قامته:

إن آدم عليه السلام طول قامته ستون ذراعا كما ثبت في الحديث الشريف الذي رواه الشيخان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "خلق الله آدم وطوله ستون ذراعا". [٢]

ذكر احتجاج آدم وموسى عليهما السلام:

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "احتج آدم وموسى فقال له موسى يا آدم أنت أبونا خيبتنا أو أخرجتنا من الجنة، قال له آدم يا موسى اصطفاک الله بكلامه وخط لک بيده، أتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ فحج آدم موسى فحج آدم موسى ثلاثا". [٣]

وفي رواية عن عمر بن الخطاب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال موسى عليه السلام فقال يا رب أبونا آدم أخرجنا ونفسه من الجنة فأراه الله آدم فقال: أنت آدم؟ فقال له آدم: نعم، قال: أنت الذي نفخ الله فيک من روحه وأسجد لک ملائكته، وعلمک الأسماء كلها؟ قال: نعم، قال: فما حملک على أن أخرجتنا ونفسک من الجنة، فقال له آدم: من أنت؟ قال: أنا موسى قال: أنت موسى بني إسرائيل الذي كلمک الله من وراء الحجاب فلم يجعل بينک وبينه رسولا من خلقه؟ قال نعم، قال: فتلومني على أمر قد سبق من الله القضاء قبلي، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فحج آدم موسى، فحج آدم موسى". [٤]

الشجرة التي أكل منها:

قال أبو جعفر: "إن آدم وزوجته أكلا من الشجرة التي نهاهما ربهما عن أكل منها، فأتيا الخطيئة التي نهاهما عن إتيانها بأكلهما ما أكلا منها، بعد أن بين الله جل ثناؤه لهما عين الشجرة التي نهاهما عن الأكل منها وأشار لهما إليهما بقوله "ولا تقربا هذه الشجرة" ولم يضع الله جل

---

[١] صحيح ابن حبان: ١٤، رقم الحديث: ٦١٦٧.

[٢] صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته، رقم الحديث (٣٣٢٦)، صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير، رقم الحديث (٧١٦٣).

[٣] صحيح البخاري، كتاب القدر باب تحاجّ آدم وموسى عند الله عز وجل (٦٦١٤).

[٤] مسند أبي يعلى ٢٣٨/١.

ثناؤه لعباده المخاطبين بالقرآن دلالة على أي أشجار الجنة كان نهيه آدم أن يقربها ينص عليها باسمها ولا بدلالة عليها، وذلك من أي رضا لم يُخلِ عباده من نصب دلالة لهم عليها يصلون بها إلى معرفة عينها. ليطيعوه بعلمهم بها كما فعل ذلك في كل ما بالعلم به له رضا.

فالصواب في ذلك أن يقال أن الله تعالى نهى آدم وزوجته عن أكل شجرة بعينها من أشجار الجنة دون سائر أشجارها فخالفا إلى ما نهاهما الله عنه فأكلا منها كما وصفها الله به، لا نعلم أي شجرة كانت على التعيين، لأن الله لم يضع لعباده دليلا على ذلك في القرآن ولا في السنة الصحيحة، فأنى يأتي ذلك من أتى؟

وقد قيل: كانت شجرة البر، وقيل: كانت شجرة العنب، وقيل: كانت شجرة التين، ويجوز أن تكون واحدة منها وذلك إن علمه عالم لم ينفع العالم به علمه، وإن جهله جاهل لم يضره جهله به". [١]

هبوطه من الجنة:

قد تظاهرت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن الله عز وجل خلق آدم عليه السلام يوم الجمعة، وأنه أخرجه فيه من الجنة وأهبطه إلى الأرض فيه، وأنه تاب عليه، وفيه قبضه، ثم إن الله عز وجل أهبط آدم قبل غروب الشمس من اليوم الذي خلقه فيه، وذلك يوم الجمعة من السماء مع زوجته، وأنزل آدم فيما قال علماء السلف بالهند كما ورد في الحديث عن قتادة قال: أهبط الله عز وجل آدم إلى الأرض وكان مهبط بأرض الهند. [٢]

قال أبو جعفر: فأخرج الشيطان آدم وزوجته مما كان فيه آدم وزوجته من رغد العيش في الجنة، وسعة نعيمها الذي كان فيه، وقد بينا أن الله تعالى إنما أضاف إخراجهما من الجنة إلى الشيطان، وإن كان الله هو المخرج لهما، لأن خروجهما منها كان عن سبب من الشيطان. [٣]

ذكر كلمات تلقاها آدم من ربه فتاب عليه:

جاء في حديث ابن عباس: "فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه" قال: أي رب! ألم تخلقني بيدك؟ قال: بلى، قال: أي رب! ألم تنفخ في من روحك؟ قال: بلى، قال: أي رب ألم

---

[١] تفسير الطبري ١/٢٦٧–٢٦٨.

[٢] تاريخ الطبري ١/٣٨.

[٣] تفسير الطبري ١/٢٧٤.

تسكني جنتك؟قال: بلى، قال أي رب ألم تسبق رحمتك غضبك؟قال: بلى، قال: أرأيت إن تبت وأصلحت أراجعي أنت إلى الجنة؟قال: بلى، قال فهو قوله "فتلقى آدم من ربه كلمات". [١]

قال ابن أبي نجيح عن مجاهد: الكلمات: اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي، إنك خير الغافرين، اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي، إنك خير الراحمين، اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، رب إني ظلمت نفسي فتب علي إنك أنت التواب الراحمين. [٢]

هبة آدم لداود أربعين عاما:

لما زيد عمر داود كما اعترف آدم (حينما قال) وأعطاه أربعين سنة من عمره، فلما نفد عمر آدم بعث الله ملك الموت فقال آدم عليه السلام: أو لم يبق من عمري أربعون سنة؟ قال الملك: أو لم تعطها ابنك داود؟ كما ورد في الحديث عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة، وجعل بين عينَي كل إنسان منهم وبيصا من نور، ثم عرضهم على آدم، فقال أي رب من هؤلاء؟ قال: هؤلاء ذريتك، فرأى رجلا منهم فأعجبه وبيص ما بين عينيه، فقال: أي رب من هذا؟ قال هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك، يقال له داود، قال رب كم جعلت عمره؟ قال: ستين سنة، قال: أي رب زده من عمري أربعين سنة، فلما انقضى عمر آدم جاءه ملك الموت قال: أو لم يبق من عمري أربعون سنة؟ قال: أو لم تعطها ابنك داود؟ قال: "فجحد فجحدت ذريته، ونسي آدم فنسيت ذريته، وخطئ آدم فخطئت ذريته. [٣] قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وفاته ودفنه:

ولما توفي آدم عليه السلام وكان ذلك يوم الجمعة جاءته الملائكة بحنوط وكفن من عند الله عز وجل من الجنة، وقد قال عبد الله بن الإمام أحمد: عن عتى —هو ابن ضمرة السعدي —قال: رأيت شيخا بالمدينة يتكلم فسألت عنه فقالوا: هذا أبي بن كعب، فقال إن آدم لما حضره

---

[١] تفسير الطبري ١/٢٧٩.

[٢] تفسير الطبري ١/٢٨١.

[٣] رواه الترمذي، تفسير القرآن، باب ومن سورة الأعراف (٣٠٧٦) وصححه الألباني.

الموت قال لبنيه أي بنيّ إني أشتهي من ثمار الجنة، قال: فذهبوا يطلبون له، فاستقبلتهم الملائكة، ومعهم أكفانه وحنوطه، ومعهم الفئوس والمساحي والمكاتل، فقالوا لهم يا بني آدم ما تريدون وما تطلبون؟ أو ما تريدون وأين تطلبون، قالوا: أبونا مريض، واشتهى من ثمار الجنة، فقالوا لهم: ارجعوا فقد قضي قضاء أبيكم فجاؤا فلما رأتهم حواء عرفتهم، فلاذت بآدم، فقال إليك إليك عني، فإني إنما أتيت من قبلك، فخلي بيني وبين ملائكة ربي عز وجل، فقبضوه وغسلوه وكفنوه وحنّطوه وحفروا له وألحدوه وصلوا عليه، ثم دخلوا قبره فوضعوا في قبره ثم حثوا عليه، ثم قالوا يا بني آدم هذه سنتكم. (١)

وروى ابن عساكر عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "كبرت الملائكة على آدم أربعا". (٢)

واختلفوا في موضع دفنه، فالمشهور أنه دفن عند الجبل الذي أهبط عليه في الهند وقيل: بجبل أبي قُبَيس بمكة، ويقال إن نوحا عليه السلام لما كان زمن الطوفان حمله هو وحواء في تابوت فدفنهما ببيت المقدس. (٣)

وروى ابن عساكر عن بعضهم أنه قال رأسه عند مسجد إبراهيم ورجلاه عند صخرة بيت المقدس. (٤)

والله أعلم، وصلى الله وسلم عليه وعلى نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

***

(١) إسناده صحيح، تاريخ دمشق ٤/٣٦٢.

(٢) تاريخ دمشق ٤/٣٦٤.

(٣) تاريخ دمشق ١/٥١–٥٢، البداية والنهاية لابن كثير ١/٢٣٠.

(٤) البداية والنهاية ١/٢٣١.

من أخبار الجامعة السلفية، بنارس

الاختبارات السنوية في الجامعة:

بدأت الاختبارات السنوية بالجامعة السلفية في يوم السبت: ١٢/ جمادى الآخرة ١٤٣٣ هـ = ٥/مايو ٢٠١٢م واستمرت إلى يوم الخميس: ٢٤/جمادى الآخرة ١٤٣٣هـ = ١٧/مايو ٢٠١٢م وذلك لمادة واحدة في كل يوم عدا يوم الجمعة. وقد خصص أسبوع كامل قبل موعد الاختبار للمراجعة والمذاكرة. كما خصص أسبوع كامل لما بعد الاختبار لتصحيح أوراق الاختبار وإعداد النتائج وكشف الدرجات. حيث انتهى هذا العمل بنهاية دوام يوم الخميس: ٢/رجب ١٤٣٣هـ = ٢٤/مايو ٢٠١٢م. وقد شارك في هذه الاختبارات طلاب الجامعة السلفية من مختلف المراحل والأقسام إلى جانب طلاب المدارس التابعة للجامعة البالغ عددها (٣٠) مدرسة.

الإجازة الصيفية:

تبدأ الإجازة الصيفية في الجامعة من يوم السبت: ٤/رجب ١٤٣٣هـ = ٢٦/مايو ٢٠١٢م وتستمر إلى يوم الخميس: ٣٠/رجب ١٤٣٣هـ = ٢١/يونيو ٢٠١٢م.

العام الدراسي الجديد واختبارات القبول:

يبدأ العام الدراسي الجديد بالجامعة السلفية وأقسامها وفروعها من يوم السبت: ٢/ شعبان ١٤٣٣هـ = ٢٣/يونيو ٢٠١٢م، وتعقد اختبارات القبول للعام الدراسي الجديد (٣٤-١٤٣٣ هـ = ١٣-٢٠١٢م) لجميع المراحل الدراسية التي سبق الإعلان عنها في يوم الاثنين: ٤/شعبان ١٤٣٣هـ = ٢٥/يونيو ٢٠١٢م. ويسمح للمشاركة في اختبارات القبول للطلاب الذين سجلوا أسماءهم لدى إدارة القبول والتسجيل، وقاموا بتعبئة استمارة الالتحاق وأرفقوا بها المستندات اللازمة. وقد قامت إدارة القبول والتسجيل بإرسال بطاقة دخول الاختبار إلى جميع الطلبة المتقدمين للالتحاق المكملين للشروط، ولا يسمح لأي متقدم للدخول في الاختبار بدون هذه البطاقة المخصصة.

***